التفسير العلمي للقرآن الكريم

عرض ودراسة

د / خالد سعيد أحمد البسيوني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أنزلَ على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً.. والصلاةُ والسَّلامُ على خيرِ خلقِ الله، ومصطفاه سيدنا محمد بن عبد الله ــ ﷺ ــ.

وبعد،،

فإنَّ كتابَ الله ــ تعالى ــ كانَ ولا يزال قِبلَةَ العلماء ومشربَ الأتقياء، ونورَ الأصفياء، وهدايةً للمهتدين وروضةً للمحبين.. وكيف لا وهو كلامُ ربِّ العالمين، والنور المبين، والصراط المستقيم..

وإنَّ مَمَّا شُغِل به العلماء قديماً وحديثاً هو تفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً يقوم على الحقائق، واليقينيات العلمية من خلال الآيات المنبثة في الأنفس والآفاق والتي أشار إليها القرآن الكريم من قريبٍ أو بعيد.

ولم يكن هذا التفسير العلمي بالأمر المتفق عليه لدى الجميع ؛ فهناك من عارض، وهناك من أطلق القول فيه دون قيودٍ أو شروط.. ومِنْ ثَمَّ وقع فيه الدخيل.. وهناك مَنْ حاول التزامَ شروطٍ وآدابٍ لهذا اللون من التفسير.

وفي تلك الدراسة أحاول أن أجلِّيَ للقارئ الكريم هذا اللون من التفسير من حيث التعريف به، وتاريخ نشأته، وخلاف العلماء فيه من حيث قبوله أو رفضه، وبيان القول المختار.

والله أسألُ التوفيقَ والسداد

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمدٍ ــ ﷺ ــ وعلى آله وصحبهِ الأخيار وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

المطلب الأول: التعريف بالتفسير العلمي للقرآن الكريم:

بادئ ذي بدء إنَّ القارئَ الكريم لا يخفى عليه أنَّ تحديدَ المصطلح لأيِّ علمٍ من العلوم يعدُّ من الأهمية بمكان. إذ لا يصلح ــ كما لا يحسن ــ أنْ يسلك الإنسانُ دراسة علمٍ ما إلا إذا أحاط بتعريفه ليتميز لديه هذا العلم عن غيره، وليسير في قضاياه بخطىً ثابتة، ورؤية ثاقبة..

وهذه ضرورةٌ تمليها قواعدُ البحث العلمي.. فالحكم على الشيء فرع تصوره.

ولا يجدر بنا ونحن بإزاء دراسة التفسير العلمي أنْ نحكم عليه قبل أن نقف على تعريفه..

ومن التعريفات لهذا اللون من التفسير ما ذكره الأستاذ الدكتور / محمد حسين الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) حيث قال:" نريد بالتفسير العلمي: التفسير الذي يحكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها "هـ[١].

وعرفه الأستاذ الدكتور زغلول النجار بقوله:" التفسير العلمي هو التفسير الذي يعتمد على تفسير الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله ــ تعالى ــ حسب اتساع دائرة المعرفة الإنسانية من عصرٍ إلى عصر وتبعاً للطبيعة التراكمية لتلك المعرفة"هـ[٢].

وفى موضعٍ آخر يعرفه بقوله:" التفسير العلمي: هو محاولة بشرية لحسن فهمِ

١ ــ التفسير والمفسرون ٢ ــ ٥١١ لـ/ الأستاذ الدكتور/ محمد حسين الذهبي. مكتبة وهبة ــ السادسة١٤١٦ هـ ــ ١٩٩٥ م.

٢ ــ تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ١ ــ ٣١ د/ زغلول النجار ــ مكتبة الشروق الدولية ط أولى ١٤٢٨هـ ــ٢٠٠٧م.

دلالة الآية الكونية في الكتاب والسنة من مصادر وحي السماء. ونحرص في التفسير العملي على توظيف الحقائق العلمية كُلَّما توافرت.. "[١].

وعرفه بعضُ العلماء بقوله:" التفسير العلمي: هو الكشف عن معاني الآية، أو الحديث في ضوء ما ترجَّحت صحته من نظريات العلوم الكونية "[٢].

وعرفه آخرون بقولهم:" يراد بالتفسير العلمي: الاستناد إلى حقائق العلم التجريبي ــ ونظرياته ــ في شرح آيات الطبيعة والإنسان ــ آدم وبنيه ــ والتي وردت في القرآن الكريم في سياقات شتى ومواضع متعددة "[٣].

ولأستاذنا الجليل الدكتور / عبد الغفور محمود مصطفى ــ رحمه الله ــ تعريفٌ حول التفسير العلمي يقول فيه:" المقصود بالتفسير العلمي: التفسيرات التي تكشف فى بعض الآيات معاني وإشارات لم تكن معروفة من قبل، ولا كان في الإمكان معرفتها ؛ لأنَّه نتيجة ما تمَّ من كشف علمي وتقدم فيما يسمى بالعلوم الحديثة "هـ[٤]

ومن التعريفات أيضاً ما ذكره الدكتور / محمد حسين على الصغير في كتابه " المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم " حيث يقول:" المنهج العلمي: هو المنهج الذي يذهب إلى استخراج جملة العلوم القديمة والحديثة من القرآن، ويرى في القرآن

١ ــ من آيات الإعجاز العلمي " النبات في القرآن الكريم " ١ ــ ٢٠ د/ زغلول النجار ــ مكتبة الشروق الدولية ــ الطبعة الثالثة ١٤٢٦ هـ ــ ٢٠٠٦م.

٢ ــ من الإعجاز العلمي للقرآن والسنة " دراسة علمية تحليلية تربوية " ص١٤ د / علي عبد الرحمن آل باعلوى الحداد. ط / أولى ٢٠٠٥م.

٣ ــ ينظر: الدخيل في تفسير القرآن الكريم ص ١٤٩ د / حسين محمد إبراهيم محمد عمر " جامعة الأزهر " بدون تاريخ.

٤ ــ الأصيل والدخيل في تفسير القرآن وتأويله رواية ودراية ص ١٩٤ د / عبد الغفور محمود مصطفى ــ ص ١٦٨ الطبعة / الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م

ميداناً يتسع للعلم الفلسفي والصناعي والإنساني في الطب والتشريع والجراحة والفلك والنجوم والهيئة وخلايا الجسم، وأصول الصناعات، ومختلف المعادن فيجعل القرآن مستوفياً بآياته لهذه الحيثيات بل متجاوزاً لها إلى العيافة والزجر والكهانة والطيرة، والضرب بالحصى، والخط على الرمل، والسحر والشَّعْبَذَةِ مما حرَّمه الإسلام وعارضه القرآن "هـ[1].

قلت: هذه تعريفات متعددة ومتنوعة للتفسير العلمي للقرآن الكريم ومن خلال هذه التعريفات نستخرج الآتي:

أوَّلا: أنَّ المراد بكلمة العلم في قولنا التفسير العلمي للقرآن الكريم ليس هو العلم بمعناه المجرد أو المطلق أعنى ما يراد به إدراك الأشياء علـــى حقائقها والذي هو في الاصطلاح: صفة ينكشف به المطلوب انكشافاً تاماً [2].[3]

---

١ – المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم " دراسة مقارنة " ص ١١٣ ــ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – الطبعة / الأولى١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣ م.

٢ – ينظر: هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة " تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة " ص ١٤ رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة. ط ١٤٠٨هـ. وينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص ٧. لـ/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني – ط – دار الكتب العلمية / بيروت ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م.

٣ – **قلت:** هناك كلامٌ كثيرٌ للعلماء في تعريف العلم لغة، واصطلاحاً. والفرق بينه وبين المعرفة.. فمن ذلك ما قاله الراغب: العلم إدراك الشيء بحقيقته ؛ وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشيء. والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه. فالأول: هو المتعدي إلى مفعول واحد نحو قوله ــ تعالى ــ:(لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ)[سورة الأنفال آية رقم٦٠] والثاني المتعدي إلى مفعولين نحو قوله– تعالى–: (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ) [سورة الممتحنة آية رقم١٠].. والعلم من وجهٍ ضربان: نظريٌّ وعمليٌّ، فالنظريُّ ما إذا علم فقد كَمَلَ نحو العلم بموجود العالَم، والعمليُّ: ما لا يتمُّ إلا بأن يَعْمَل كالعلم بالعبادات. ومن وجهٍ آخر ضربان: عقليٌّ وسمعيٌّ.. "(معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص ٣٥٥ لـ/ الراغب الأصفهاني. دار الفكر ــ بيروت ــ بدون).

وفي الفرق بين العلم والمعرفة يذكر صاحب تاج العروس فيقول:" المعرفة إدراك الشيء بتفكر =

وتدبر لأثره، وهي أخصُّ من العلم. والفرق بينها وبين العلم من وجوه لفظاً ومعنى، أمَّا اللفظ ففعل المعرفة يقع على مفعول واحد، وفعل العلم يقتضي مفعولين وإذا وقع على مفعول كان بمعنى المعرفة. وأمَّا من جهة المعنى فمن وجوه: أحدهما: أنَّ المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله. والثاني: أنَّ المعرفةَ في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه فإذا أدركه قيل عرفه بخلاف العلم فالمعرفة نسبة الذكر النفسي ؛ وهو حضور ما كان غائباً عن الذاكر لهذا كان ضدها الإنكار وضد العلم الجهل. والثالث: أنَّ المعرفة علم لعين الشيء مفصلاً عمَّا سواه بخلاف العلم فإنَّه قد يتعلق بالشئ مجملاً.. "هـ(تاج العروس من جواهر القاموس مادة {علم} ٨ – ٤٠٥ لـ/ الإمام اللغوي السيد / محمد مرتضى الزبيدي ــ نشر دار الفكر – ط – المطبعة الخيرية – ١٣٠٦هـ).

ويزيدنا الإمام الراغب توضيحاً للفرق بين العلم والمعرفة عند تعرضه لمادة {عرف} فيقول: المعرفة والعِرفان: إدراك الشيء بتفكرٍ وتدبرٍ لأثره وهو أخص من العلم ويضادُّه الإنكار يقال: فلان يعرف الله ولا يقال: يعلم اللهَ متعدياً إلى مفعول واحد، لمَّا كان معرفةُ البشر لله هي تدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: الله يعلم كذا، ولا يقال: يعرف كذا، لمَّا كانت المعرفةُ تستعمل في العلم القاصر المتوصل به بتفكر "هـ(معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص ٣٤٣).

فقد تحصَّل من هذين النقلين أنَّ العلم في اللغة هو إدراك حقيقة الشيء وأنه ضربان: إدراك ذات الشيء وهذا يتعدى فعله إلى مفعول واحد. وإدراك الحكم على الشيء وهذا يتعدى فعله إلى مفعولين. وأنَّ المعرفة أخص من العلم. حيث هي إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره وأنَّ العلم يضادُّه الجهل والمعرفة يضادُّها الإنكار.. إلى آخر ما هنالك من الفروق.

هذا عن تعريف العلم (**لغة**) والفرق بينه وبين المعرفة أمَّا عن تعريف العلم في **الاصطلاح**. فيحدثنا عن ذلك أستاذنا الجليل الدكتور / إبراهيم عبد الرحمن خليفة ــ نفع الله بعلمه ــ في كتابه القيم " منة المنَّان في علـــوم القرآن " بقوله:" عُنيت بالحديث عن العلم طوائف متعددة.. فمِن قائل: إنَّ المعنى الحاصل من حقيقته في النفس ضروري فلا يمكن تعريفه شأن جميع الضروريات وذلكم هو الإمام الرازي، ومِن قائل: إنه نظري ولكنه على غاية ما يكون من الظهور فيعسر تعريفه بسبب ظهوره فإنَّ الشيء كما يعسر تحديده بسبب خفائه فكذلك يعسر تحديده بسبب شدة ظهوره.. وذانكم إمام الحرمين الجويني وتلميذه حجة الإسلام الغزالي. ومِن قائل: إنَّه نظري لا يعسر تحديده وهنا اختلفت مدارك من تصدى لتعريفه حتى وقفنا من ذلك على نحو بضعة عشر مدركاً أمثلها عند المحققين قول من قال في تعريفه هو " صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هي به " ومعنى " صفة يتجلى بها المذكور " أي ما من شأنه أن يذكر وتلتفت إليه النفس.

وقولة من يقول كذلك " العلم صفة توجب لمحلها تمييزاً لا يحتمل النقيض بوجه "هـ(منة المنان في علوم القرآن ص ١٤– ١٦ – ط / مطبعة الفجر الجديد – منشية ناصر – ١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٢ م) =

وعلى إثر ذلك ينبغي التنبيه على **أمرين:**

الأول: أنَّه قد شاع إطلاق العلم في لسان الشرع العام أو عند السلف الأولين على معرفة الله ــ تعالى ــ وآياته وأفعاله في عباده وخلقه..

فهذا الإطلاق في الشرع العام لمعنى العلم يعدُّ في الأصل من إطلاق العام على الخاص لمزية في ذلك الخاص فإنَّ مطلق العلم أعم من تلك المعرفة بالله ــ تعالى ــ وآياته وأفعاله... الخ.

ومن ثمَّ فإنَّ هذا الإطلاق للعلم في لسان الشرع العام لا يُعدُّ من باب الاصطلاح. يقول أستاذنا الجليل الدكتور / إبراهيم عبد الرحمن خليفة في هذه المسألة:" نعم قد يكون صحيحاً من حيث إرادة الاصطلاح بالنسبة لما شاع من إطلاق العلم في لسان الشرع العام على معرفة الله ــ تعالى ــ وآياته وأفعاله في عباده وخلقه. إنْ سلمنا أنَّ حقيقة العلم قد قصرت وقتئذٍ على خصوص هذا الفرض الكامل منها، وبحيث لم تتعده أصلاً إلى غيره من الأفراد الصالحة للاندراج تحت هذه الحقيقة. وأنَّ الأمر عندئذٍ هو من باب الحقيقة الشرعية أو العرفية فأمَّا حيث لا نسلم ذلك بل قلنا إنَّ غاية ما هناك أنَّ الحقيقة متى أطلقت إلى الفرض الكامل منها دون مانع أصلاً من صلوح أن تقال الحقيقة على بقية الأفراد في أوضاعها المناسبة، وأنه قد كثر الإطلاق فحسب على هذا الفرض الكامل لا أنه انحصر فيه وامتنع بالنسبة لغـيره..

نقول إذا فعلنا ذلك فإنَّا لا نجعله من باب الاصطلاح أصلاً.. "هـ(منة المنان في علوم القرآن ص ١٩ -٢٠ وينظر: مناهل العرفان ١ – ١٢ لـ/ الشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني. دار الفكر / بيروت ــ ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م.)

الأمر الثاني:

أنَّ الماديين يزعمون أنَّ العلمَ ليس إلاَّ خصوص ما يتقون به من العلم التجريبي دون سواه، فهم يقدمون الشَّك، ويُمْعنون فيه، ثم لا يعترفون إلا بالحسيات ولا يحفلون بُمجرد العقليات. وبعبارة أخرى: هم يعْرِفون العلم الموثوق بسلامته وصحته في تقديرهم لا مطلق ما يصلح أنْ يسمى علماً وشتَّان ما بين الاعتبارين.

ولا شك أنَّ الماديين في حصرهم للعلم على ما يرتكز إلى الحسِّ فقط يعد قصوراً بل من الباطل البين..

فالإلهيات والنبوات والوحي كلُّ ذلك وراء المادة وهي حقائق لا يشكُّ فيه إلا جاحد..

وقد صدمهم العلمُ التجريبي نفسه صدمةً عنيفةً حينما أوصلهم إلى ما وراء المادة، ومن ذلك التنويم المغناطيسي.. والمخترعات الحديثة التي قرَّبت المسافات واختصرت زمان الحدث مثل التليفون واللاسلكي والميكرفون والراديو وغيرها.. وهي أشياء مصنوعة من الجماد الجاهل الجامد.. وإتيان بعض الحيوانات الدنيا ــ كالنحل والنمل ــ بعجائب الأنظمة والأعمال. =

فهذا مِمَّا لا خلاف فيه وإلا ففي التفسير عموماً كشف عن المراد بقدر الطاقة. وإنَّما مقصودنا بهذا العلم المضاف إلى التفسير هو ما يُتحصل عن طريق المشاهدة والتجربة، والمسمى في قاعات البحث بـ" العلم التجريبي ".

ثانياً: إذا كان المراد بالعلم في قولنا: التفسير العلمي للقرآن هو العلم التجريبي فإنَّ ما ذكره الأستاذ الدكتور/ الذهبي في تعريفه السابق للتفسير العلمي بقوله:" والآراء الفلسفية " ينبغي حمله على العلم التجريبي أيضاً وليست تلك الآراء الفلسفية التي تبحث فيما وراء الوجود والتي غالبها تخمينات وظنون ومِنْ ثمَّ لا يتوصل بتلك الفلسفة النظرية إلى نتائج ثابتة يقول الأستاذ الدكتور / عبد الحليم محمود – رحمه الله –:" الثقافة (أي الفلسفة) النظرية عموماً عبث، والواجب أن تركز جهودنا على دراسة الفلسفة العملية، واكتشاف نواميس الله فى الكون "هـ[1].

ثالثاً: ينبغي التنبيه إلى أنَّ التعريفات سالفة الذكر خاصة بالتفسير العلمي وليس الإعجاز العلمي، أمَّا الثَّاني فيقوم على الحقائق العلمية فقط، ومن ثمَّ عرَّفَ العلماء

إلى غيرِ ذلك من الأدلة الحسية والمبثوثة في الأنفس والآفاق والتي تدلُّ على أنَّ هذا الكون المنظور بالنسبة إلى ما غاب عنَّا منه كحلقة في فلاة.. وأنَّ هذا الكون في النهاية تحكمه قوة الخالق وحكمته وإرادته، وأنَّ تلك القوة والحكمة المطلقة هي أيضاً مصدر النبوات والوحي.."(ينظر: مناهل العرفان ١ / ٦٥ -٦٩، ومنة المنان ١ -٢٠).

[1]- ينظر: الفلسفة الإسلامية من المشرق إلى المغرب ج١ــ ص١٦ د/ عبد المعطى محمد بيومي ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م بدون ذكر اسم المطبعة.

قلت: ومن المحتمل أنَّ هذه الكلمة أي (الآراء الفسلفية) تعني في تعريف الأستاذ الدكتور/ الذهبي – الفلسفة النظرية، والتي لا تسمن ولا تغني من جوع. ومِن ثمَّ يكون لدينا تبريرٌ لما سيأتي بعْدُ من عدم ميل الأستاذ / الدكتور الذهبي لهذا اللون من التفسير.

ومن المناسب هنا أن أذكر أنَّ التعريف السابق ذكره للتفسير العلمي لدى الأستاذ الدكتور الذهبي هو بعينه ما ذكره الأستاذ أمين الخولي في كتابه " التفسير " معالم حياته / منهجه اليوم (ص ١٩ – ٢٠ ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب) وقد توفي الأستاذ أمين الخولي سنة ١٩٦٦م وتوفي الأستاذ الدكتور الذهبي سنة ١٩٧٧ م ولا أدري أيَّاً منهما صاحب هذا التعريف ؟

الإعجاز العلمي بأنه: إثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى حقيقة من حقائق الكون أو تفسير ظاهرة من ظواهره قبل وصول العلم المكتسب إليها بعدد متطاول من القرون [١].

وبعبارة أخرى: التفسير العلمي هو انتفاع المفسر بما ظهر في عصره من معلومات كونية في تفسير النصوص بخلاف الإعجاز العلمي الذي يعتبر الحقيقة الكونية التي يؤول إليها معنى النص ويشاهد الناسُ مصداقَها في الكون فيستقر عندها التفسير، ويعلم بها التأويل، ويزداد الاستقرار عمقاً واتساعاً مع تقدم الكشوف العلمية "[٢].

ويرى كثير من الدارسين والباحثين ــ أنَّ التفسير العلمي والإعجاز العلمي، صارا قرينين أو شيئاً واحداً. ويعتبرون أنَّ هذا اللون المعاصر من ألوان التفسير يعدُّ تأكيداً لإعجاز القرآن، أو باباً جديداً، من أبوابه.. [٣]

رابعاً: ينبغي التنبيه أيضاً إلى أنَّ هذه التعريفات سالفة الذكر في شأن التفسير العلمي للقرآن فيها ما يعكس رأي صاحبه من حيث قبول أو رفض هذا اللون من التفسير..

فتعريف التفسير العلمي ــ مثلاً ــ " بأنَّه التفسير الذي يحكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن الكريم.... الخ. يعكس وجهة نظر صاحبه في رفض هذا

---

١ – من آيات الإعجاز العلمي " النبات في القرآن الكريم " ج١ – ص ٩٢.

٢ – مدخل إلى القرآن الكريم ص ١٧٩ لـ أنور الجندي ــ ط / دار الاعتصام بدون. وينظر: من الإعجاز العلمي للقرآن والسنة " دراسة علمية تحليلية تربوية " ص٢٦، ومن آيات الإعجاز العلمي " النبات في القرآن الكريم " ج١ ــ ٩٢، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص ٣٢ د / عبد الله بن عبد العزيز المصلح، د / عبد الجواد الصاوي. رابطة العالم الإسلامي ــ الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٣ – ينظر: الدخيل في تفسير القرآن الكريم ص ١٥٠ .

اللون من التفسير.. وإلاَّ فمَنِ الذي يرضى أن تحكَّم الاصطلاحات العلمية في كتاب الله ــ تعالى ــ ؟!.

وأقول رداً على ذلك: ليس من قصد المفسر المستجمع لشروط التفسير أن يحكِّم الاصطلاحات في عبارات القرآن الكريم أيَّاً كان نوع هذا العلم. فمَنِ الذي يقول: إنَّ البلاغي يحكِّم الاصطلاحات البلاغية في عبارات القرآن الكريم..، أو اللغوي أو الفقيه ؟!

ذلك أنَّه قد استقر لدى دارسي كتاب الله ــ تعالى ــ أنَّ القرآن الكريم حاكمٌ على غيره من العلوم، ولا يصح أن تكون هذه العلوم البشرية حاكمة على كتاب الله ــ تعالى ــ بل هي في الحقيقة خادمة له.. ولو حدث تحكيم اصطلاحات هذه العلوم في عبارات القرآن ما عُدَّ هذا تفسيراً ؛ لا تفسيراً بلاغياً، ولا تفسيراً لغوياً، ولا تفسيراً فقهياً، ولا تفسيراً علمياً... إلخ.

خامساً: أنَّ ما سبق في تعريف البعض بأنَّ التفسير العلمي أو المنهج العلمي يذهب فيما يذهب إلى العيافة والزجر والكهانة والطيرة، والضرب بالحصى، والخطّ على الرَّمل، والسحر والشَّعْبَذَةِ مما حرَّمه الإسلام وعارضه القرآن.. الخ فهذا مِمَّا لا يعدُّ في صحيح النظر من قبيلِ التفسير العلمي وإنَّما هي شطحات من أصحابها. كما أنَّ تلك العلوم ــ رغم ما فيها من مخالفات ــ قديمة قبل نزول القرآن الكريم، ولكن ما نعنيه هنا بالتفسير العلمي هو تلك المعاني والإشارات التي لم تكن معروفة من قبل وإنما هي نتاج الكشوف العلمية.

وبعد هذه التعريفات للتفسير العلمي وما يستفاد منها أعرج إلى ذكر نشأة التفسير العلمي. والله الموفق..

مخلوق. واستدلَّ من ذلك على أنَّ القرآن لم يكن إلاَّ من عند الله، المحيطِ بكلِّ شيء علماً، والذي علمه من لم يكن به عالماً. يريد محمداً ــ ﷺ ــ.

وأجرى الحوارَ الآتي بينه وبين من تصوّر أنه يعارضه فى رأيه ذاك: قال: فإنْ قيل: فضل العلم لا يكون إعجازاً فى النبوات، لأنَّ العلماء قد يتفاضلون، ولا يكون للأفضل إعجازٌ على المفضول. فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّ التفاضل فى العلم موجود، والإحاطة بجميع العلوم مفقودة.

والثاني: أنَّ ظهور العلم فيمن يتعاطاه ليس بمعجزٍ لظهوره من جهته، وظهوره فيمن لم يتعاطه معجزٌ لظهوره من غير جهته. وقد كان محمدٌ أميّاً من أمّةٍ أميّةٍ لم يقرأ كتاباً، ولم يتعاط علماً، فصار ما أظهر معجزاً "هـ"[١].

قلتُ: وإذا كان ذلك محاولة من بعض العلماء فى بيان تحديد الوقت الذي نشأ فيه التفسير العلمي للقرآن وأنَّه على أكثر تقديرٍ كان في أواخر القرن الرابع الهجري، فإنِّي أرى أنَّ هذا اللون من التفسير كانت له إرهاصات قبل هذا الوقت بكثير، ولست أبالغ إنْ قلتُ: إنَّ هذه الإرهاصات كانت زمن الصحابة ــ ﷺ ــ ويدلُّنا على ذلك:

أوَّلاً:ــ ما وردَ عنهم في تفسير قوله ــ تعالى ــ(مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) [٢] وتفسير قوله ــ تعالى ــ(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) [٣] فقد تعدَّدت أقوالُهُم حول معنى { الكتاب } ومعنى { شيء } في الآيتين الكريمتين.

١ – أعلام النبوة ١ ــ ٧٦ للإمام الماوردي – ط / دار الكتاب العربي – بيروت ــ الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي.

٢ – سورة الأنعام آية رقم: ٣٨ .

٣ – سورة النحل آية رقم: ٨٩ .

ففسَّر عبد الله بن مسعود الكتاب في الآيتين بالقرآن [١]. وعزا ابن الجوزي هذا التفسير صراحةً إلى عبد الله ابن عباس [٢].

ورجَّح ابنُ عطية هذا التفسير، اعتماداً على أنَّه الذي يقتضيه نظام المعنى في الآيات.[٣]

ورجَّحه الإمام الرازي اعتماداً على أنَّ الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد، انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب ــ عند المسلمين ــ هو القرآن.[٤]

وقد فُسِّر أيضاً الكتاب في الآيتين بمعنى أم الكتاب . وهو قول عزاه الطبري لابن عباس وقتادة وعبد الرحمن بن زيد ويونس بن عبد الأعلى الصدفي [٥].

وكما اختلفوا في تفسير الكتاب الوارد في الآيتين السابقتين فقد اختلفوا فيما ينطوي تحت كلمة " شيء ".

فعنِ ابن عباس ما تركنا شيئاً إلا وقد كتبناه في أمِّ الكتاب وإلى هذا المعنى ذهب قتادة وابن زيد.[٦]

ونقل الطبري أنَّ عبد الله بن مسعود قال في تفسير آية النحل: أنزل في هذا

١ – مجمع البيان في تفسير القرآن ٧ ــ ٥٧. الشيخ/ أبو الفضل بن الحسن الطبرسي. منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت.

٢ – زاد المسير في علم التفسير ٣ – ٣٥. لـ/ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. ط / المكتب الإسلامي – بيروت ــ الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ.

٣ – المحرر الوجيز ٢ ــ ٢٩٠ ط – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٤ – مفاتيح الغيب ٦ ــ ٢٩٩ ط / دار الغد العربي ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ــ ١٩٩٢م.

٥ – ينظر: جامع البيان ٧ – ١١٩ ط – دار الحديث ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٦ – جامع البيان ٧ – ١١٩ .

القرآن كلُّ علمٍ وكلُّ شيء قد بُيِّن في القرآن [١]. وقد روى عنه أنه قال:" من أراد علم الأولين والآخرين فليثور [٢] القرآن "[٣].

وروى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال:" مَا مِنْ شَيْءٍ إلا وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ "[٤].

ومضى علـــى هذا العموم الذي ارتآه بعض الصحابة والتابعين لكلمة (شيء) بعضُ العلمـــاء فقد ذكر السيوطي أنَّ محمد بن يحي المعروف بابن سراقة حكى في كتاب الإعجاز عن أحمد بن موسى التميمي المعروف بابن مجاهد [٥] أنَّه قال: ما من شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله ــ تعالى ــ. فقيل: فأين ذكر الخانات (الفنادق) ؟ قال في قوله ــ تعالى ــ(لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ

١ – جامع البيان ١٤ – ١٠٨.

٢ – الثور: الهيجان،.. يقال: ثار الشئ ثوراً وثوراناً وتثور: هاج..، وثار الدخان والغبار وغيرهما: يثور ثوراً وثُؤوراً وثوراناً: ظهر وسطع. وثور القرآن: بحث عن معانيه وعن علمه قال شمر: تثوير القرآن: قراءته ومناقشة العلماء به في تفسيره ومعاينه، وقيل: لينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته.(لسان العرب ٤ / ١٠٨ ــ ١١٠ لابن منظور – ط – دار صادر – بيروت – الثالثة ١٤١٤هـ القاهرة).

٣ – أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦ - ١٢٦ رقم ٣٠٠١٨، والطبراني في الكبير ٩ - ١٥٣ رقم ٨٦٦٤ ط / الموصل / الثانية ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣ م، والبيهقي فـــي الشعب ٢ - ٣٣٢ رقم ١٩٦٠ الطبعـــة الأولى ١٤١٠ بيروت) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ – ١٦٥:" رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدهما رجال الصحيح "هـ.

٤ – أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥ ــ ٢٢٣ ط / بيروت- الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م..، وأخرجه الطبري في تفسيره ٧ – ١١٩ .

٥ – هو: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد (٢٤٥ - ٣٢٤ هـ = ٨٥٩ - ٩٣٦ م): كبير العلماء بالقراءات في عصره. من أهل بغداد. وكان حسن الأدب، رقيق الخلق، فطناً جواداً. له " كتاب القراءات الكبير " وكتاب " قراءة ابن كثير " و " قراءة أبي عمرو " و " قراءة عاصم " و " قراءة نافع " و " قراءة حمزة " و " قراءة الكسائي " و " قراءة ابن عامر "و " قراءة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ " و " كتاب اليآت " وكتاب " الهآت ".(الأعلام ١ ــ ٢٦١).

مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ) [١] فهي الخانات [٢].

ومِمَّن لهم دفاع عن القول بعموم كلمة شيء في قوله ــ تعالى ــ(مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) الإمام أبو حيان ؛ فعند تعرضه لتفسير هذه الآية الكريمة حكى ما قاله أبو البقاء يعيش بن علي [٣] حيث جعل (من شيء) هنا واقعاً موقع المصدر، أي تفريطاً، وقال: وعلى هذا التأويل لا يبقى في الآية حجة لمن ظن أنَّ الكتاب يحتوي على ذكر كلِّ شيء تصريحاً، ونظير ذلك قوله (لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا)[٤]. أي ضرراً.

ثم كرَّ عليه الإمام أبو حيان بالرَّد فقال:" ليس كما ذكر لأنَّه إذا تسلط النفي على المصدر منفياً على جهة العموم، ويلزم من نفي هذا العموم نفي أنواع المصدر ونوع مشخصاته، ونظير ذلك: لا قيام ؛ فهذا نفي عام فينتفي منه جميع أنواع القيام ومشخصاته كقيام زيد، وقيام عمرو، وما أشبه ذلك فإذا نفى التفريط على طريقة العموم كان ذلك نفياً لجميع أنواع التفريط ومشخصاته ومتعلقاته، فيلزم من ذلك أنَّ الكتاب يحتوي على ذكر كل شيء "[٥].

ولا شك أنَّ أنصارَ التفسير العلمي اعتمدوا هذه الأقوال لتكون شاهداً على قبول

١ – سورة النور آية رقم: ٢٩ .

٢ – الإتقان في علوم القرآن ٣ ــ ٢٥، ومعترك الأقران ١ ــ ١٦ .

٣ – هو: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (٥٥٣ - ٦٤٣ هـ = ١١٦١ - ١٢٤٥ م): من كبار العلماء بالعربية. موصلي الأصل. مولده ووفاته في حلب. رحل إلى بغداد ودمشق، وتصدر للإقراء بحلب إلى أن توفي.(وفيات الأعيان ٧ ــ ٤٦ والأعلام ٨ ــ ٢٠٦).

٤ – سورة آل عمران آية رقم: ١٢٠ .

٥ – البحر المحيط ٤ ــ ١٢٦ لـ/ أبي حيان الأندلسي. ط / دار الكتب العلمـــية / بيـــروت – الأولى ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١م.

هذا اللون من التفسير..

ويرى آخرون تخصيص هذا العموم بما يدعو إلى معرفة الله ــ تعالى ــ وتكاليفه يقول الإمام الرازي ــ رحمه الله ــ:" لقائل أنْ يقول: كيف قال ــ تعالى ــ:(مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) مع أنَّه ليس فيه تفاصيل علم الطب، وتفاصيل علم الحساب، ولا تفاصيل كثير من المباحث والعلوم، وليس فيه أيضاً تفاصيل مذاهب الناس ودلائلهم في علم الأصول والفروع ؟

والجواب: أنَّ قوله (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) يجب أن يكون مخصوصاً ببيان الأشياء التي يجب معرفتها، والإحاطة بها، وبيانه من وجهين:

الوجه الأول: أنَّ لفظ التفريط لا يستعمل نفياً وإثباتاً إلا فيما يجب أن يبين لأنَّ أحداً لا ينسب إلى التفريط والتقصير في أن لا يفعل ما لا حاجة إليه، وإنما يذكر هذا اللفظ فيما إذا قصر فيما يحتاج إليه.

الوجه الثاني: أنَّ جميع آيات القرآن أو الكثير منها دالة بالمطابقة أو التضمن أو الالتزام على أنَّ المقصود من إنزال هذا الكتاب بيان الدين ومعرفة الله، ومعرفة أحكام الله، وإذا كان هذا التقييد معلوماً من كل القرآن كان المطلق ههنا محمولاً على ذلك المقيد "هـ"[١].

وقال في تفسير آية النحل:" العلوم إمَّا دينية أو غير دينية أمَّا العلوم التي ليست دينية فلا تعلق لها بهذه الآية، لأنَّه من المعلوم بالضرورة أنَّ الله ــ تعالى ــ إنَّما مدح القرآن بكونه مشتملاً على علوم الدين فأمَّا ما لا يكون من علوم الدين فلا التفات إليه "هـ"[٢].

---

١ – مفاتيح الغيب ٦ ــ ٢٩٩ . ط– دار الغد – الأولى١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢ م.

٢ – المصدر السابق ٩ ــ ٦١٤ .

قلت: ورغم هذه التفرقة من الإمام الرازي بين العلوم الدينية، وغير الدينية، وأنَّ القرآن لا شأن له بغير الدينية ؛ فإنَّ الإمام الرازي يمضي في تفسيره على غير ذلك حيث نراه يحتفل فيه بكثير من العلوم – وبخاصة الفلك – احتفالاً كبيراً، لفت كل من تكلم عنه حتى قيل:" فيه كلُّ شيء إلا التفسير "[١].

قلت: هذا أولاً في الاستدلال على أنَّ التفسير العلمي كانت له إرهاصات سبقت تدوينه والإشادة به.. وقد بدأ ذلك في عصر الصحابة كما رأيناه فيما فسره بعضهم من آيات الذكر الحكيم ذات الصلة بهذا الموضوع..

أما ثانياً: ورود بعض النماذج التفسيرية عنهم لبعض الآيات المتصلة بالأنفس والآفاق مع التنبيه على أنهم التزموا في تفسيرها بدلالات الألفاظ من حيث اللغة، ودلالاتها من حيث السياق..

وهذا مِمَّا يعدُّ منهجاً علمياً في التفسير العلمي والذي سنذكر شروطه في لاحق كلامنا عنه..

ومن هذه النماذج:

ما ذكره ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير قوله ــ تعالى ــ: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ)[٢]، حيث قال: كانتا ملتصقتين فرفع السماء، ووضع الأرض. وكذلك قال الحسن وقتادة [٣].

---

١ – ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٤ ــ ٢١٣ .

٢ – سورة الأنبياء آية رقم: ٣٠ .

٣ – جامع البيان ٩ – ج ١٧ ص ١٤. وعزاه السيوطي في الدر المنثور [٥ ــ ٦٢٦ دار الفكر – بيروت، ١٩٩٣] لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن الحسن، وقتادة، وسعيد بن جبير ــ رضي الله عنهم ــ.

قلت: في هذا النموذج نرى الإمام ابن عباس وغيره، وهم يفسرون هذه الآية الكريمة، والتي تتصل بنشأة الكون مراعين في ذلك الدلالة اللغوية لكلمتي (الرتق والفتق) فالرتق: في اللغة عكس الفتق ؛ لأنَّ الرتق هو الضم والالتحام والالتئام سواء كان ذلك طبيعياً أو صناعياً، يقال: رتقت الشيء فارتتق أي فالتأم والتحم [١]. والفتق: لغة هو الفصل، والشق، والانشطار.[٢]

والمعنى الواضح لنا من هذه الآية الكريمة أنَّ السماوات والأرض كانتا في الأصل شيئاً واحداً متصلاً، وملتئماً، وملتحماً ففتقه ربنا ــ تبارك وتعالى ــ بأمر منه ــ سبحانه ــ إلى الأرض التي نحيا عليها، وإلى سبع سماوات من فوقنا.

هذا ما أشار إليه ابن عباس – رضي الله عنهما – وغيره، وهو كذلك يتفق مع ما قاله جمعٌ غفير من علماء الكون.. ووصفوا تلك الظاهرة، أو أطلقوا عليها نظرية " الانفجار العظيم "[٣].

مع ملاحظة أنَّ المعنى الوارد عن ابن عباس – رضي الله عنهما – لم يخرج عن حقيقة اللغة لكلمتي " الرتق، والفتق "، أمَّا في العصر الحديث فإنَّ جهودَ العلماء للوصول إلى تلك النظرية العلمية يعتمد في الأساس على ما توافر من أجهزة علمية، ومراصد فلكية، وقياسات زمنية ومكانية.. مع التنبيه على أنَّ هذه العلوم المكتسبة لا يمكن لها في النهاية أن تتجاوز أكثر من تلك المشاهد العلمية.

أمَّا الخوض في تفاصيل ذلك وكيفية حدوثه وسبب حدوثه... الخ. فأنَّى

---

١ – ينظر: لسان العرب ١٠ ــ ١١٤ .

٢ – ينظر: مقاييس اللغة ٤ ــ ٣٧٦ . لـ/ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكَرِيّا. الناشر: اتحاد الكتاب العرب. ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م. ولسان العرب ١٠ ــ ٢٩٦ .

٣ – ينظر: المفهوم الحديث للمكان والزمان ص ١٨٧ تأليف: ب. س. ديفيز. ترجمة د / السيد عطا. ط / الهيئة العامة للكتاب، وتفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ٢ / ١٠٩ – ١١٥.

لهم ذلك ؟!.

فما قاله ابن عباس – رضي الله عنهما – وغيره، وما توصل إليه العلم قد اتفق على شيء واحد.. وهذا الفهم المباشر لتلك الآية الكريمة لا ينبغي أن يفزع منه المؤمن، ولا أنْ يظنَّ تعارضاً بين هذا الفهم لهذه الآية وبين قوله – تعالى –: (مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا)[١].

ذلك أنَّ تفاصيل هذا الخلق من حيث الزمان، والمكان، والكيفية شيء اختص به الله ــ تعالى ــ.

ومن النماذج التي تظهر اجتهادهم في تفسير مثل هذه الآيات، ومحاولة الوصول إلى المعنى بقدر طاقتهم.. ما روي عنهم في تفسير قوله ــ تعالى ــ:(فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۞ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ) [٢]. فقد اختلفت أقوالهم في المراد بالخنس والجوار الكنس في الآيتين الكريمتين حسب المعنى اللغوي.

فالخنس في اللغة يدل على استخفاء وتستر، قالوا: الخَنس: الذهاب في خفية، يقال: خنستُ عنه، وأخنست عنه حقه.. والخنوس يأتي أيضاً بمعنى التأخر، كما يأتي بمعنى الانقباض والاستخفاء. وخنس بفلان، وتخنس به أي غاب به، وأخنسه أي خلفه ومضى عنه [٣].

والجوار: أي الجارية من الجري وهو المرُّ السريع [٤].

---

١ – سورة الكهف آية رقم: ٥١.

٢ – سورة التكوير آية رقم: ١٥ ــ ١٦ .

٣ – ينظر: مقاييس اللغة ٢ ــ ١٨٠، ولسان العرب ٦ ــ ٧١.

٤ – معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص ٩٠ وكتاب الكليات ١ــ ٥٤٧ ــ لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي. ط / مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

والكنس: (كنس) الكاف والنون والسين تشكل أصلين صحيحين، أحدهما يدل على سفر شيء عن وجه شيء وهو كشفه، والأصل الآخر يدل على استخفاء فالأول كنس البيت، وهو سفر التراب عن وجه أرضه، والمكنسة آلة الكنس، والكناسة ما يكنس.

والأصل الآخر: الكناس: بيت الظبي، والكانس: الظبي يدخل كناسه[١].

وعلى هذا المعنى اللغوي لكلمتي الخنس والكنس تعددت أقوالهم حول المعنى المراد بهما في الآيتين الكريمتين..

فقد عزى السيوطي لابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: الخنس نجوم تجري يقطعن المجرة كما يقطع الفرس.[٢]

وأخرج الطبري عن عليٍّ ــ ﷺ ــ أنَّ الخنَّس والكنَّس هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل، وكذا أخرج عن مجاهد وقتادة، والحسن، وابن زيد. وأخرج عن ابن مسعود وجابر بن زيد أنَّها بقر الوحش التي تكنس في كناسها. وأخرج عن ابن عباس أنها الظباء [٣].

ولما كانت هذه المعاني تستند إلى اللغة وليس فيها شيء مرفوع إلى رسول الله ــ ﷺ ــ لم يكن أمام الطبري بعد أنْ ساقها إلا أنْ يقول بها جميعاً لعموم معناها "هـ [٤].

---

١ – مقاييس اللغة ٥ ــ ١١٥ ولسان العرب ٦ ــ ١٩٧ .

٢ – الدر المنثور ٨ ــ ٤٣١ .

٣ – أخرج تلك الآثار ابن جرير الطبري م١٢ ج ٢٩ ص ٤٧ – ٤٩. وعزاه السيوطي في الدر [٨ ــ ٤٣١] لسعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم.

٤ – جامع البيان م١٢ ج ٢٩ ص ٤٩ وعبارته في هذا المقام:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: =

وبنفس الارتكاز على هذا المعنى اللغوي لكلمتي الخنس والكنس، ارتكز أصحاب التفسير العلمي لإثبات سبق علمي للآيتين الكريمتين ؛ وذلك فيما توصل إليه علماء الفلك من اكتشاف ثقوب سوداء كانت في أصلها نجوماً يصدر منها مختلف صور الطاقة، ولكنها في مرحلة زمنية معينة تحولت إلى ما يسمَّى بالثقوب السوداء. ولندع الأستاذ الدكتور / زغلول النجار يحدثنا عن ذلك حيث يقول:" يعرف الثقب الأسود بأنَّه أحد أجرام السماء التي تتميز بكثافتها الفائقة، وجاذبيتها الشديدة، بحيث لا يمكن للمادة، ولا لمختلف صور الطاقة – ومنها الضوء – أن تفلت من أسرها.. وقد سمِّيت بالثقوب لقدرتها الفائقة على ابتلاع كلِّ ما تمرُّ به أو يدخل في نطاق جاذبيتها من مختلف صور المادة والطاقة.. ووصفت بالسواد، لأنها معتمةٌ تماماً لعدم قدرة الضوء على الإفلات من جاذبيتها..

وقد اعتبرت الثقوب السود مرحلة الشيخوخة في حياة النجوم ؛ وهي المرحلة التي قد تسبق انفجارها وعودة مادتها إلى دخان السدم دون أنْ يستطيع العلماء حتى هذه اللحظة معرفة كيفية حدوث ذلك..

إن الله ــ تعالى ــ ذكره أقسم بأشياء تخنس أحيانا: أي تغيب، وتجري أحيانا وتكنس أخرى، وكنوسها: أنْ تأوي في مكانسها، والمكانس عند العرب: هي المواضع التي تأوي إليها بقر الوحش والظباء، واحدها: مَكْنِس وكناس، كما قال الأعشى:

فلَمَّا لَحِقْنا الْحَيَّ أَتْلَعَ أُنَّسٌ... كمَا أَتْلَعَتْ تَحْتَ المَكانِسِ رَبْرَبُ.

فهذه جمع مَكْنِس، وكما قال في الكناس طَرَفة بن العبد:

كأنَّ كِناسَيْ ضَالَةٍ يَكْنُفانِهَا... وأطْرَ قِسِيٍّ تَحْتَ صُلْبٍ مُؤَيَّدِ

وأما الدلالة على أن الكناس قد يكون للظباء، فقول أوس بن حَجَر:

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أنزلَ مُزْنَةً... وعُفْرُ الظِّباءِ في الكِناسِ تَقَمَّعُ.

فالكناس في كلام العرب ما وصفت، وغير مُنكر أن يستعار ذلك في المواضع التي تكون بها النجوم من السماء، فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أنَّ المراد بذلك النجوم دون البقر، ولا البقر دون الظباء، فالصواب أن يُعَمّ بذلك كلّ ما كانت صفته الخنوس أحياناً والجري أخرى، والكنوس بآنات على ما وصف جلّ ثناؤه من صفتها "هـ.

ولا أجدُ وصفاً لتلك المرحلة من حياة النجوم المعروفة باسم " الثقوب السوداء " أبلغ من وصف الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ لها بالخنس الكنس ؛ فهي خانسة أي دائمة الاختفاء والاستتار بذاتها، وهي كانسة لصفحة السماء تبتلع كل ما تمر به من المادة المنتشرة بين النجوم.. وهي جارية في أفلاكها المحددة لها، فهي خنس جوار كنس، وهو تعبـير أبلـغ بكثير من تعبير الثقوب السوداء الذي اشتهر وذاع بين المشتغلين بعلم الفلك.. [١].

قلت: كان هذا الحديث عن البدايات الأولى لنشأة التفسير العلمي للقرآن الكريم.. ظهر من خلاله أنَّ لهذا اللون من التفسير إرهاصات تمت قبل العناية به، ووضع الاصطلاحات العلمية.

تبدأ هذه الإرهاصات من عصر الصحابة الكرام.. مع الأخذ في الاعتبار أنَّها كانت مجرد اجتهادات نابعة من أصل معرفتهم باللغة، ودلالات الألفاظ دون الخوض في التفاصيل فضلاً عن اعتبار الآيات المتصلة بعلوم الأنفس والآفاق تقع تحت ما يسمى بالتفسير العلمي للقرآن الكريم..! [٢].

واستمر الأمرُ على ذلك حتى أواخر القرن الرابع الهجري والذي حظي فيه هذا اللون من التفسير بالاهتمام ولفت الأنظار إليه كما رأينا في صنيع محمد بن يحي المعروف بابن سراقة، والإمام الغزالي، والإمام الرازي وغيرهم..

ثم توالت جهود العلماء في هذا الشأن.. ومنهم على سبيل المثال "الإمام محمد بن

---

١ – تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ٤ / ص ٣٥٠ ــ ٣٥٤ بتصرف واختصار، وينظر: المفهوم الحديث للمكان والزمان ص ١٢٩ تأليف: ب. س. ديفيز. ترجمة د / السيد عطا. ط / الهيئة العامة للكتاب.

٢ – ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص ٩٩ د/ حسين نصار. دار الهلال. بدون.

أحمد الإسكندراني الطبيب (وهو من علماء القرن الثالث عشر الهجري)[١] له في ذلك عدة كتب تتناول الآيات الكونية منها: كتاب (كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية) يستنبط القارئ منه ومن غيرها من كتبه التي تناولت هذا الموضوع أنَّ القرآن يحوي أسرار العلوم والكون. وقد ذهب فيها إلى أنَّ القرآن تحدث بهذه العلوم في فروعها المختلفة، ونظرياتها واكتشافاتها الحديثة، قبل أن يعرفها العلم البشري. وعُدَّ ذلك من الإعجاز بالإخبار بالغيب. وانتهى إلى أنَّ المؤمن المفكر المتأمل الذي يدرك أسرار الخلق، وعظمة الخالق خير من المؤمن الجاهل.." [٢]

وفي العصر الحديث ظهرت الاصطلاحات العلمية لهذا اللون من التفسير، وظهرت المؤلفات التي تُعنى به دراسةً وتطبيقاً منها على سبيل المثال:

– الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات، للشيخ طنطاوي جوهري [٣]. ويعدُّ هذا التفسير من أشهر

---

١ – هو: محمد بن أحمد الإسكندراني (.. – ١٣٠٦ هـ =.. – ١٨٨٩م): طبيب، باحث، من أهل الإسكندرية. عمل في العسكرية البحرية بمصر إلى سنة ١٢٥٦ هـ. ورحل إلى دمشق فتولى رياسة أطباء الجيش إلى سنة ١٢٥٨هـ وتوفي بدمشق. من كتبه (تبيان الأسرار الربانية بالنباتات والمعادن والخواص الحيوانية) و (الأزهار المجنية في مداواة الهيضة الهندية) و (البراهين البينات في بيان حقائق الحيوانات).[الأعلام ٦ ــ ٢١، ومعجم المؤلفين ٨ ــ ٢٣٣ لـ / عمر رضا كحالة – مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٨ م].

٢ – ينظر: فكرة إعجاز القرآن ص ٢١٠ وما بعدها لـ/ نعيم الحمصي. ط / مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٩٨٠م. والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص ٤٤ ــ ٤٥.

٣ – هو: طنطاوي بن جوهري المصري (١٢٨٧ – ١٣٥٨ هـ = ١٨٧٠ – ١٩٤٠م): عالم، حكيم، أديب، مشارك في أنواع من العلوم ولد في كفر عوض الله حجازي من قرى (الشرقية)، ونشأ بها، والتحق بالجامع الأزهر، وتخرج بدار العلوم، ودرس بها وبغيرها، وتعلم الإنجليزية، وألقى محاضرات في الجامعة المصرية، وناصر الحركة الوطنية،وتوفي بالقاهرة.(معجم المؤلفين ٥ ــ ٤٢ والأعلام ٣ ــ ٢٣٠).

ما كتب في التفسير العلمي للقرآن الكريم، والمتأمل فيه يرى أنّ صاحبه قد حشده بالعلوم الطبيعة والكونية والنفسية والصناعية، وملأه بذكر المكتشفات والاختراعات العصرية، وتناول به الطب والتشريح والجبر والهندسة والفيزياء والكيمياء وعلم النبات والأحياء والتواريخ.. فهو يضع الآية على بساط البحث أدبياً وفلسفياً وعلمياً ثم يتبعها بحكايات، وأحاديث وعجائب ولطائف ــ على حدّ تعبيره ــ، ثم يسرد لازم الحكاية ومتعلقها، ومباحث العلم الحديث فيها روحياً أو جغرافياً أو فلكياً أو تشريحياً أو صناعياً أو طبياً أو هندسياً حتى يحمل النص أكبر مما ينبغي أن يبحث عنه..

ويقصد من وراء هذا كلّه إلى تيسير الفهم العصري للقرآن، أو مواكبة القرآن للعلم الحديث، أو ضرورة تلقي المسلمين لجميع هذه العلوم، أو لاعتقاده بأنّ القرآن بعد إشارته لهذه العلوم فهو يريد معرفتها، والتخصص في جملتها، ثم يشرع في بلورة كلّ ذلك بأسلوب إرشادي، ودعائي مطول يتوسع فيه توسعاً شاملاً، ففي حديثه عن جزء آية من قوله ــ تعالى ــ:(وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)[١].

يبحث نوم الإنسان في الليل والنهار، وحل ابن سينا للمعضلات العلمية أثناء النوم، وما ذهبت إليه نظرية أنشتاين، والمراد الكنائي لمعنى النوم ما دام العلم قد كشفه مما يعتبره معجزة، ثم ينتقل إلى بحث ثلاث عجائب، الأولى في حياة روحية لأحلام اليقظة ؛ يتناول بها الانتقال الفكري والتباين والنظر المضاعف مستنداً في ذلك إلى كتب روحية، ومجلات علمية وأمثال ذلك.

والعجيبة الثانية في اكتشاف جريمة غريبة بعد عشر سنوات عن طريق الرؤيا والأحلام.

---

١ – سورة الروم آية رقم: ٢٣ .

والعجيبة الثالثة في حيوان يبقى إحدى وثلاثين سنة بلا طعام أو هواء ويظل حياً، ثم يسرد بعض مقالات إخوان الصفاء [١] في المقام إتماماً للفائدة – كما يقول – ويتعرض لنوم الطيور، والحيوانات من هذا الخلال، ثم يبحث موضوع: كيف يمكنك أنْ تفسر ما تراه كلّ يوم من الظاهرات الكيميائية، ويعرض لكائن حي يعيش ألف سنة، ثم يتبع ذلك بزيادة إيضاحية للمراد من جزء الآية، ويأتي على حياة الحبوب، وأصل النبات وأنّ لذلك حياة ضئيلة كحياة النائم، ثم يسرد تجارب أهل الهند قديماً.. بعد كل هذا التشريق والتغريب يعقد عدة مباحث للموضوع نورد بعضها: الكلام على النوم وساعاته وما يناسبه، النوم وحاجة الإنسان الشديدة له، أوقات النوم وعدد ساعاته، فراش النوم، تجديد الهواء في قاعات النوم والفراش، ثم الكلام على الحركات المختلفة النافعة لصحة الإنسان تفسيراً لقوله ــ تعالى ــ (وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ).

إنّ هذا الابتغاء إنّما يكون بالحركة، وهي: الرياضة البدنية، فوائد الرياضة البدنية، أنواع الرياضة البدنية المختلفة، العوم والتجديف، ركوب الدراجات، المشي، الجمباز، التمرينات الحربية، ركوب الخيل، الصلاة.. [٢].

فهذا الجزء من الآية قد استوعب هذه العناوين، واستغرق عدة صفحات كبيرة، وعلى هذا فقس ما سواها.

---

١ – كانت جماعة إخوان الصفا جماعة سياسية شيعية زيدية، ومقرها البصرة ولهم رسائل في شتى الفنون ومن مزاعمهم أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة وسموها رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، وكتموا أسماءهم وبثوها في الوراقين ولقنوها الناس وادعوا أنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله.(الإمتاع والمؤانسة ج ٢ ص ٥ – ١٣ لــ أبي حيان التوحيدي. بيروت ــ تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين).

٢ – ينظر: تفسير الجواهر ١٥ / ٦١ – ٧٢. للشيخ / طنطاوي جوهري ــ ط / الحلبي.

وممن سار على هذا المنوال أيضاً:

٢- الأستاذ عبد الرازق نوفل في " القرآن والعلم الحديث "، والأستاذ عبد الغني الخطيب في " أضواء من القرآن على الإنسان ونشأة الكون والحياة " والأستاذ الدكتور / مصطفى محمود في " محاولة لفهم عصري للقرآن " والأستاذ الدكتور / عبد الله شحاته في " آيات الله في الكون تفسير الآيات الكونية بالقرآن الكريم "، والأستاذ الدكتور / زغلول النجار في عدة كتب منها:" النبات في القرآن الكريم " و" تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ".

ويتميز منهج الأستاذ الدكتور / زغلول النجار في كتبه حول التفسير العلمي للقرآن الكريم بتناول المفردات من حيث كتب اللغة.. ثم ذكر ما قاله أشهر المفسرين، ثم الاستعانة بذلك كلّه في إلقاء الضوء على الآية من الناحية العلمية مستعيناً في ذلك بما كُتب من أبحاث علمية.. وبما توصل إليه العلم التجريبي بكافة وسائله في معالجة أو اكتشاف الظواهر الكونية، مضمناً كتبه ما توفر من صور تدلّل أكثر على مدى ارتباط الظاهرة الكونية بدلالة الآية القرآنية..

وبجانب هؤلاء العلماء الذين كتبوا في التفسير العلمي، وتناول قضاياه.. نجد الكثير والكثير غيرهم ممن سار على هذا المنهج من التفسير.. دون أن يكونوا جميعاً على وتيرة واحدة ؛ فمنهم من التزم القواعد العلمية لهذا اللون من التفسير، ومنهم من أطلق لنفسه العنان.. ومِنْ ثمَّ وقعت الشطحات والمخالفات.. وبجانب هؤلاء وأولئك فريق ثالث يرفض هذا اللون من التفسير أصلاً.. فما هي اتجاهات كلٍّ فريق من هؤلاء.. وبيان الصائب منها ؟.

هذا ما سيأتي الحديث عنه في المطلب التالي، **والله الموفق**.

المطلب الثالث: التفسير العلمي للقرآن الكريم بين القبول والرفض:

بادي ذي بدء نقرِّر أنَّ هذا اللون من التفسير قد كثر فيه القيل والقال، وحظي بقسط وافر من الخلاف.. ولم يكن الرافضون له بأقل من القائلين بقبوله..

وقد نتج من هذا الشدِّ والجذب في شأن هذا اللون من التفسير فريقٌ ثالث لا يرى رفضه بإطلاق كما لا يرى قبوله بإطلاق بل لا بُدَّ فيه من توافر شروط، وضوابط.. حتى يعتدُّ به وتقع الثقة فيه..

وفيما يلي بيان هذه الاتجاهات الثلاثة في شأن هذا المنهج من التفسير:

أولاً: بيان موقف الرافضين للتفسير العلمي:

يعدُّ الإمام الشاطبي [١] المتوفى سنة (٧٩٠ هـ = ١٣٨٨م) أوّل من حمل لواء رفض هذا اللون من التفسير وتبعه علي ذلك جمعٌ كبير من العلماء.. وجميعهم على أنَّ القرآن الكريم كتابُ هداية وليس كتاب نظريات علمية.. فلا ينبغي الزيادة علي ذلك.. ولا أن نزج بالقرآن في غير ما هو مقصوده الأصلي من نزوله.. وأسوق للقارئ الكريم طرفاً من أقوال هؤلاء العلماء الرافضين لهذا اللون من التفسير..

وأبدأ بزعيم المعارضين له أعني الإمام الشاطبي ــ رحمه الله ــ فقد عقد في كتابه الموافقات بحثاً خاصاً لمقاصد الشارع.. ونوَّع مقاصد الشارع فيه إلي أنواع تولَّي شرحها وبيانها.. وبيَّن من خلالها أنَّ الشريعة في تصحيح ما صحَّحت وإبطال ما أبطلت قد عرضت من ذلك إلي ما تعرفه العرب من العلوم، ولم تخرج عما ألفوه.. ثم توجه باللّوم إلي مَنْ أضافوا للقرآن كلَّ علوم الأولين والآخرين، مفنداً هذا الزعم، الذي اعتقد أنّ قائليه قد تجاوزوا به الحدَّ في دعواهم على القرآن.. وذلك حيث يقول في المسألة الرابعة من مسائل النوع الثاني من المقاصد ــ أي مقاصد وضع الشريعة للإفهام ــ:" ما تقرَّر من أمية الشريعة وأنَّها جارية على مذاهب أهلها ــ وهم ــ العرب ينبني عليه قواعد: منها: أنَّ كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدّ ؛ فأضافوا إليه كلَّ علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم [٢]، والمنطق وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه

١ – هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الغرناطي، المالكي الشهير بالشاطبي، (أبو إسحاق) محدث، فقيه أصولي، لغوي، مفسر. مات في شعبان من مؤلفاته: " عنوان التعريف بأسرار التكليف في الأصول " " شرح على الخلاصة في النحو " في أسفار أربعة كبار، " الموافقات في أصول الشريعة "، " عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق "، " والاعتصام ".(معجم المؤلفين ١ ــ ١١٨).

٢ – أي الرياضيات من الهندسة وغيرها.

الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه علي ما تقدم لم يصح "[١]

ثم يصحِّح الشاطبي رأيه هذا، ويحتج له بما عُرف عن السلف من نظرهم في القرآن فيقول:" إنَّ السلف الصالح ــ من الصحابة والتابعين ومن يليهم ــ كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه ولم يبلغنا أنه تكلم أحدٌ منهم في شيء من هذا المدعى.. ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر، لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة ؛ إلاَّ أنَّ ذلك لم يكن، فدلَّ على أنه غير موجود عندهم. وذلك دليل على أنَّ القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا. نعم، تضمن علوماً هي من جنس علوم العرب، أو ما ينبني على معهودها مما يتعجب منه أولو الألباب، ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة دون الاهتداء بإعلامه، والاستنارة بنوره. أمَّا أنَّ فيه ما ليس من ذلك فلا ".[٢]

ثم أخذ الشاطبي بعد هذا في ذكرِ ما استند إليه أربابُ التفسير العلمي من الأدلة مع تفنيدها فقال:" وربَّما استدلوا على دعواهم بقوله ــ تعالي ــ:(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) [٣]، وقوله:(مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) [٤]. ونحو ذلك... فإنَّ المراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد، أو المراد بالكتاب في قوله (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ): اللوح المحفوظ. ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقليه "[٥].

هذه هي الخلاصة الشاملة لمقالة الشاطبي في هذا الموضوع.. وقد تبنى بعض

١ – الموافقات ٢ / ٦٦ ــ ٦٧ ط / المكتبة التوفيقية ــ القاهرة ــ تحقيق: عبد الله درّاز.

٢ – المصدر السابق ٢ ــ ٦٧ .

٣ – سورة النحل آية رقم: ٨٩ .

٤ – سورة الأنعام آية رقم: ٣٨ .

٥ – الموافقات ٢ / ٦٧ . باختصار.

رافضي هذا اللون من التفسير كلام الشاطبي في هذا الشأن مع التأكيد عليه أو التوضيح له.. وربما زادوا عليه جملة اعتراضات أخري تؤكد صحة دعواهم في رفض هذا اللون من التفسير..

فهذا صاحب تفسير المنار يرفض التفسير العلمي اعتماداً علي ما قاله الشاطبي عن السلف..[١].[٢]

وبعد أنْ عرض الأستاذ / أمين الخولي رأي الشاطبي مُفصَّلاً، أضاف إلى الدعامات التي استند إليها في رفضه ما يلي:

١- الناحية اللغوية: فلو ملكنا بياناً بحياة الألفاظ، وتدرج دلالاتها، وتحديد هذا التدرج، وتأريخ ظهور المعاني المختلفة للكلمة الواحدة، وعهد استعمالها فيها، لوجدنا من ذلك ما يحول بيننا وهذا التوسع العجيب في فهم ألفاظ القرآن، وجعلها تدل علي معان وإطلاقات لم تعرف لها، ولم تستعمل فيها ؛ أو إنْ كانت تلك الألفاظ قد استعملت في شئ منها، كان ذلك باصطلاح حادث بعد نزول القرآن بأجيال.

٢ - الناحية الأدبية أو البلاغية.. والبلاغة فيما يقال: مطابقة الكلام لمقتضى

---

١ - ينظر تفسير القرآن الحكيم (المنار) ١ ــ ٢٠٨، للشيخ / رشيد رضا. ط ١ ــ مصر ــ مطبعة المنار ــ ١٣١٦ .

٢ - ومع ذلك لم يرفض الشيخ رشيد رضا الإعجاز العلمي رفضاً باتاً وجعله تحت وجهين من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

فقد جعل الوجه السادس من وجوه إعجازه عجز الزمان عن إبطال شيء منه، والوجه السابع تحقيق مسائل كانت مجهولة للبشر ووضح الوجه الأول فذكر أنّ القرآن أبان كثيراً من آيات الله في جميع أنواع المخلوقات من الجماد والنبات والحيوان والإنسان، ومن أخبار الأمم، ومن التشريع السوي.... ووضح الوجه الثاني بأنه اشتمال القرآن على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون.. وسنن الله في الخلق.(ينظر تفسير (المنار) ١ / ٢٠٨ ــ ٢١٢).

الحال فهل كان القرآن علي هذا النحو المتوسع من التفسير العلمي، كلاماً يوجه إلى مَنْ خوطب به من الناس في ذلك العهد ؛ مراداً به تلك المعاني المذكورة مع أنها معان من العلم لم تعرفها الدنيا إلا بعد ما جازت آماداً فسيحة ؛ وجاهدت جهاداً طويلاً. ارتقي به عقلها وعلمها !!!

وهب هذه المعاني العلمية المدعاة كانت هي المعاني المرادة بالقرآن فهل فهمها أهلُ العربية منه إذ ذاك وأدركوها ؟!

وإذا كانوا قد فهموها فما لنهضتهم العلمية في علوم الحياة المختلفة لم تبدأ بظهور القرآن، ولم تقم على هذه الآيات الشارحة لمختلف نظريات العلوم المفهمة لدقائقها !!

وإن كانت لم تفهم منها، ولم يدركها أصحابُ اللغة الخلص من عبارتها كما هو الواقع فعلاً فكيف تكون معاني القرآن المرادة ؟! وكيف تكون تلك الألفاظ مفهمة لها وهل هذه هي المطابقة لمقتضى الحال !

٣- وهناك الناحية الدينية، أو الاعتقادية ؛ وهي التي تبين مهمة كتاب الدين وهل هو كتاب يتحدث إلى عقول الناس وقواهم العالمة عن مشكلات الكون، وحقائق الوجود العلمية ؟؟ وكيف يساير ذلك حياتهم، ويكون أصلاً ثابتاً لها ؛ تختم به الرسالات السماوية ؛ كما هو الشأن في القرآن ؛ مع أنَّ هؤلاء المتدينين لا يقفون من معرفة هذه الحقائق عند غاية محدودة، ولا ينتهون منها عند مدىً ما ؟! فكيف تؤخذ جوامع الطب والفلك والهندسة والكيمياء من القرآن على نحو ماسمعت آنفاً، وهي جوامع لا يضبطها اليوم أحدٌ إلاَّ تغيَّر ضبطه لها بعد يسير من الزمن أو كثير؛ وما ضبطه منها القدماء قد تغيَّر عليهم فيما مضي ؛ ثم تغيَّر تغيراً عظيماً فيما تلا !!...

وهناك نواح أخري من النظر محدثة، تؤيد الرأي القديم الذي بينه الشاطبي في

كيفية فهم عبارة القرآن ؛ وتجعل من الخير ألا توجه العناية إلى مثل هذا الضرب من التفسير العلمي.." اهـ[١].

هذا ما قاله الأستاذ أمين الخولي في شأن التفسير العلمي بعد أن ساق ما قاله الشاطبي في هذا الشأن.

وبعد أنْ ذكر الأستاذ الدكتور / محمد حسين الذهبي كلامَ المجيزين لهذا اللون من التفسير، وكلام المعارضين له ــ وخاصة كلام الشاطبي ــ قال ــ رحمه الله ــ:" أمّا أنا فاعتقادي مع الشاطبي ــ رحمه الله ــ لأنّ الأدلة التي ساقها لتصحيح مدعاه أدلة قوية، لايعتريها الضعف، ولا يتطرق إليها الخلل، ولأنّ ما أجاب به على أدلة مخالفيه أجوبة سديدة دامغة لا تثبت أمامها حججهم، ولا يبقى معها مُدَّعاهم.

وهناك أمور أخرى يتقوى بها اعتقادنا أنّ الحق في جانب الشاطبي ومن لفَّ لفَّه، فمن ذلك ما يأتي.. "هـ[٢]

قلت: ثم ذكر الأستاذ الذهبي كلام الأستاذ الخولي السابق ذكره حذو القذة بالقذة مع بعض تصرف في العبارات... وينضم أيضاً إلى فريق المعارضين جمعٌ كبير من العلماء... منهم: الشيخ الزرقاني [٣] - والشيخ محمود شلتوت [٤] - والأستاذ عباس العقاد[٥]ـ

١ - التفسير: معالم حياته - منهجه اليوم ص ٢٥ - ٢٧. باختصار

٢ - التفسير والمفسرون ٢ ــ ٥٢٧ .

٣ - ينظر: مناهل العرفان ٢ / ٣٥٣ ــ ٣٦١ .

٤ - ينظر: القرآن والمسلمون (مجلة الرسالة) ص ٥٨٠ ــ ٥٨١ العدد ٤٠٧، ٤٠٨ من السنة التاسعة ــ بتاريخ ٢١، ٢٨ أبريل ١٩٤١ م.

٥ - ينظر: الفلسفة القرآنية ص ٢٠٤ وما بعدها. لــ/ عباس محمود العقاد. ط ــ دار الهلال .

والدكتور عزة دروزة[١]- والشيخ مناع القطان[٢] - والشيخ عبد الكريم الخطيب[٣].. وغيرهم...

وجميعهم على أنَّ القرآن الكريم كتاب هداية.. وأنَّ ما ورد فيه من إشارات علمية لم يقصد من ذكرها شرح حقيقة علمية ولا أنْ يحل مسألة.. ولا أنْ يدلَّلَ على نظرية، ولا أن يقرر قانوناً.. وأنَّه ليس من الحكمة أن نحاكم القرآن بحقائقه الإلاهية العلوية المستقرة إلى هذه العلوم القلقة الحائرة التي سجنها العلماء في سجن ضيِّق من المادة، كما أنَّ مثل هذا اللون من التفسير يفسد أمرَ العلاقة بين الإنسان، وبين القـــرآن الكريم ؛ إذ إنَّ هذه النظريات العلمية والفلسفية والصحية، وغيرها تفضي إلى صور من التفكير لا يريدها القرآن، ولا تتفق مع الغرض الذي من أجله أنزله الله ــ تعالي ــ.

كما أنَّ الخطأ الوارد في هذه النظريات يفضي إلى تأويل القرآن تأويلاً متكلفاً قد يؤدي في نهاية الأمر إلى زلزلة مكانه في قلوب من لا دراية له من المؤمنين.

ثم إنَّ أصحاب هذا اللون من التفسير يقتسرون المعاني اقتساراً، ويخرجون بالألفاظ عن مدلولاتها..

تلك هي مجمل اعتراضات رافضي هذا اللون من التفسير.. على أنَّه ينبغي التنبيه إلى أنَّ هؤلاء العلماء لم يقصدوا بذلك التضييق على كتاب الله ــ تعالى ــ،

١ - ينظر: التفسير الحديث ٢ / ٦ ــ ٧. لــ/ محمد عزة دروزة. ط / دار إحياء الكتب العربية ــ ١٣٨١ هـ ــ ١٩٦٢ م.

٢ - ينظر: مباحث في علوم القرآن ص ٢٧٠ ــ ٢٧٢ . لــ مناع القطان. ط / مؤسسة الرسالة ــ بيروت.

٣ - ينظر: إعجاز القرآن ١ / ٢٧ ــ ١٣٩ لــ/ عبد الكريم الخطيب. ط / مطابع دار الكتاب العــربي ــ مصر ــ ١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٤ م .

ولا تقويض إعجازه.. وإنَّما قصدهم هو حماية كتاب الله ــ تعالى ــ من التحريف، والتأويلات الخاطئة، أو الخروج بالقرآن الكريم عن منهجه الهادي.

ومما يدلنا على ذلك منهم أنهم لم ينكروا ــ وهذا هو واقع الأمر ــ أنَّ القرآن قد اشتمل على آيات تتصل بالكون والأنفس..

لكن تفسيرها على نحو متصل بعلوم البشر مما يطرأ عليها التغير هو ما لا يقبل. أمَّا أنَّ هذه الآيات ما نزلت إلا لحث المسلمين على النظر والتفكر والبحث في أسرار الطبيعة، وخفايا المجهول فهو مالا يرفض بحال من الأحوال..

وعلى كلٍّ فهذه جملة آراء رافضي التفسير العلمي وذكر أشهر من لم يرتضه منهجاً تفسيرياً لكتاب الله ــ ﷻ ــ.

وقبل أنَّ نعرض لآراء المجيزين نود أن ننظر في آراء المعارضين نظرة فاحصة... لنرى كلامهم في هذا الشأن... وهل ما ساقوه من اعتراضات.. يستحق معه إلغاء هذا اللون من التفسير، وأنَّ تسميته تفسيراً من باب التجوز ليس إلاَّ، وأنه يحوي من المخاطر، والنتائج السلبية ما لا يحمد عقباه في تفسير كتاب الله ــ تعالى ــ أمْ ماذا ؟

أقول وبالله التوفيق:

إنَّ ما مضي من كلام بعض المعارضين للتفسير العلمي يشوبه من المبالغة الكثيرُ والكثير ــ ولست هنا متحيزاً لآراء المجيزين دون قيد أو شرط فستأتي أدلتهم والرد عليها، وإنَّما أريد أنْ أظهر للقارئ الكريم في هذا المقام أنه رُبَّما ساق المعترض من الأدلة ما لا يثبت في صحيح النظر ــ وهدفنا هنا أن نصل إلى ما نرتضيه حكماً في هذه القضية دون تفريط أو إفراط..

وأعود بالقارئ الكريم إلى ما ذكره الإمام الشاطبي ــ رحمه الله ــ معترضاً به

على هذا اللون من التفسير.. إذ نجده يذكر ما لا يعدُّ مبرراً لرفضه.. فمثلاً عندما بنى اعتراضه على التفسير العلمي بأنه قد تقرر أميةُ الشريعة ومِنْ ثمَّ لا يجوز للناس تجاوز الدعوة على القرآن الحدّ.. وعليه فلا ينبغي أن يضاف إليه كلُّ علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين: من علوم الطبيعيات، والتعاليم (أي الرياضيات من الهندسة وغيرها) والمنطق وعلم الحروف.. - إلى آخر ما ذكره في هذا المقام-.

فإنَّنَا نجيب على ذلك فنقول: أمَّا أنَّ القرآن لا يشتمل على كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين فهذا نسلم به في دائرة القول بأنَّه لا يشتمل عليها من ناحية التخصيص، أو التفصيل والتنظير والتقسيم والتحليل..

أمَّا أن تكون هذه النتيجة مبنية على أمية الشريعة فهذا ما لا يستساغ قبوله، ولا يُعدُّ ذلك أصلاً قوياً في استنتاج هذه النتيجة..

إذ لا يخفى أنَّ أمية النبي ــ ﷺ ــ لا دخل لها في هذا الأمر.

كما لنا أنْ نناقشه في قوله بأن القرآن نزل على ما عهده العرب من العلوم فنقول: إنَّ الشريعة التي بعث بها النبي ــ ﷺ ــ إلى الناس كافة، إمَّا أن تكون على نسبة ما كان، وتكون عليه عامَّة الإنسانية كلها في أممها وشعوبها من المعرفة الحاصلة، والمتجددة إلى يوم القيامة، أو لا تكون كذلك.

فإن كانت على نسبة ما عليه الإنسانية من حصائل الفكر الإنساني، وما يكون لها في مستقبل حياتها من التفكير العلمي المستكشِف لحقائق الكون، وأسرار الطبيعة، فذلك هو معنى كونها شريعة علمية.

وإنْ لم تكن، لزم أن تكون على غير ما تعهد الإنسانية، وما تعرف من تاريخها العلمي وأطوارها الفكرية في المعرفة، فلم تكن لتنزل من أنفس الأمم، والشعوب العالمة التي تعنى بالمعرفة منزلة ما عهدوا. وذلك خلاف ما جاءت بـــه الشريعة.

وقول الشاطبي بأنَّ القرآن لو لم يكن على ما يعهدون لم يكن عندهم معجزاً.. إلى آخر ما ذكره في هذا المقام فهذا كلام ينعكس عليه إذ لنا أن نقول: لو لم يكن القرآن الكريم – في هدايته العامة الشاملة لجميع ما يقوم بحاجة الإنسانية الفكرية، والاجتماعية قياماً عامّاً باقياً ببقاء رسالته على الأرض – على ما تعهد الإنسانية كلها، باعتبارها مدعوة للإيمان برسالة القرآن، من العلم والمعرفة الشاملين لجميع فنونها، لم يكن عندهم معجزاً، ولكان كثيرٌ من الأمم والشعوب يخرجون من مقتضى التعجيز بقولهم: هذا القرآن على غير ما عهدنا ونعهد، فأسلوبه وألفاظه وعباراته ليست من أسلوبنا وألفاظنا وعباراتنا. ومعانيه وأفكاره قاصرة على ما يعهد الأميون وليس فيه مما نعهد من المعاني الفكرية، والأفكار العلمية شئ، فلا تلزمنا الحجة به..[١].

ثم إنَّ قول الشاطبي – رحمه الله – بأنَّ الصحابة والتابعين ومن يليهم – كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه، وأنه لم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شئ من هذا المدعى.. إلى آخر ما قاله في هذا المقام...

فهذا كلام لا نسلم به مع ما رأيناه من قول بعض الصحابة بأنَّ القرآن قد اشتمل على علم الأولين والآخرين.. وكذلك ما رأيناه من نماذج عنهم في هذا الشأن.

وينبغي أن نشير إلى أنَّ الخلاف في هذه المسألة هل القرآن قد اشتمل على هذه العلوم بالتفصيلات أم اشتمل عليها بالإشارة والتلويح والتنبيه إليها ؟.

لا يختلف المعارض لهذا اللون من التفسير مع المجيز له بأنَّ القرآن قد اشتمل عليها بمجرد الإشارة والتنبيه ليس إلاَّ.

كما أنَّ احتجاج الشاطبي – رحمه الله – بأنَّ هذه العلوم لم يأت شئ منها عن

---

١ – ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ص ١٨٦ – ١٨٧ د/ حسين نصار. دار الهلال. بدون.

السلف الصالح.. يجاب عليه بأن عدم ورود ذلك لا ينبني عليه نفي هذا اللون من التفسير.

ويجاب على من رفض هذا اللون من التفسير بحجة أنَّ الألفاظ ينبغي أن تفهم على ما كانت عليه عند نزول القرآن، وأنَّ اللفظ في التفسير العلمي ستتدرج دلالته حتى يصل إلي معاني وإطلاقات لم تعرف لها..

مثال ذلك: كلمة (الذرة) في قوله – تعالى –:(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ)[١] سيفهم الباحث أنَّ المعنى لكلمة الذرة اختصت به الآية العربيَ الأول هو (الصغر) أي فمن يعمل خيراً مهما قلَّ وكان مثل الذرة سيجزى به.

وسيفهم الباحث أنَّ المعنى لكلمة الذرة ستخص به الآية المسلم هو الذرة العلمية (البريتون والإلكترونيات) فهل يعقل ذلك ؟[٢]

قلت يجاب على ذلك بأن ذلك يضاف إلي إعجاز القرآن الكريم الذي يضيف لكلِّ عصر ما يصلح له.. ولو سرنا مع هذا الاعتراض لكان في ذلك جمود في فهم كتاب الله – تعالى – على معنى واحد – أعني ذلك الفهم المتصل بالعربي القديم وقت نزول القرآن الكريم – وهو ما ينأى بالناس عن واقعهم في كل عصر، حتى لا يستسيغوه فيملوه ويهملوه.

وثبات القرآن الكريم.. وهو من السمات البارزة له لا يمنع من فهم الإشارات الكونية الواردة فيه على أساس من معطيات العلوم الكونية البحتة منها والتطبيقية،

---

١ – سورة الزلزلة آية رقم: ٧ .

٢ – ينظر: الرأي الآخر: التفسير العلمي للقرآن ص٦٤ – ٦٥ – محمد يوسف السباعي. ط / دار الصفا للطباعة والنشر – الجيزة.

حتى ولو كان ذلك يتسع من عصر إلى عصر بطريقة مطردة..[١]

ونعود للمثال المذكور في الاعتراض السابق فنقول: إنَّ فهم لفظ الذرة بمعنى الشئ الصغير هو ما يفهمه الجميع. أمَّا أنَّ الذرة تعني لدى المفسر تفسيراً علمياً هو البريتون والإلكترونيات.. فهذا لا يعدُّ قدحاً في المشهور المعلوم لأنه لا تعارض في الحقيقة بين الدلالتين إذ ليس القصد إظهار حقيقة الذرة سواء لدى العربي القديم أو الحديث.

وإنما المقصود ما يدل عليه السياق من لفت الأنظار إلى قدرة الله ــ تعالى ــ وإحاطة علمه بكل شئ، وأنه القادر على الحساب والجزاء حتى على أقل القليل..

ونعود إلى الحجج التي ساقها المعترضون على هذا اللون من التفسير.. ومنها تطويع الآية لنظرية علمية ربما كذبت فيما بعد.

ويجاب على ذلك بأن الخطأ الوارد حينئذٍ لا يقع على الآية ذاتها ؛ وإنما هو واقع على التفسير الذي أدى إلى تلك النتائج الخاطئة.

ولو قال المعارض: من هنا صحَّ أن نوقف هذا اللون من التفسير..

فيجاب عليه بأنه لو صحَّ ذلك لجاز أيضاً منع الكثير من تفاسير القدماء إذ ماذا يقول المعارض فيما يجده في تلك التفاسير من أخذٍ وردٍّ وتصويب لرأي وتخطيءٍ لآخر.. وهي مسائل تدور بعيداً عن المسائل العلمية ؟! ورغم ذلك فإنَّ المفسر تفسيراً علمياً لا يرتكز على ذلك ليبرر به تفسيراته العلمية ؛ حيث إنَّه يعلم من بداية الأمر " أنَّ هناك فروقاً واضحة بين الفروض، والنظريات من جهة، والقواعد والقوانين من جهة أخرى، وهي مراحل متتابعة في منهج العلوم التجريبية الذي يبدأ بالفروض ثم النظريات وينتهي بالقواعد والقوانين. والفروض هي تفسيرات أولية

---

١ – ينظر: تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ١ – ٣٥ د/ زغلول النجار.

للظواهر الكونية، والنظريات هي صياغة عامة لتفسير كيفية حدوث تلك الظواهر ومسبباتها.

أمَّا الحقائق الكونية فهي ما يثبت ثبوتاً قاطعاً في علم الإنسان بالأدلة المنطقية المقبولة.."[١]

ومن السَّهل في العصر الحديث ــ بما يحتويه من تقدم علمي وأجهزة متنوعة في شتى المجالات ــ الوقوف على الكثير من الحقائق العلمية، وربطها بالآيات القرآنية التي تشير إليها.

وقد كان القدماءُ من المفسرين يتناولون تلك القضايا العلمية، ولم يتوقفوا في تفسيرها رغْمَ ما كانوا يفتقدونه في زمنهم من أجهزة علمية تدلِّلُ على صحة ما ذهبوا من تفسيرات للآيات الكونية.. ومِنْ ثَمَّ وقع أكثرُهم في التأويلات الخاطئة.. ولم نجد مَنْ هاجمهم أو دعاهم للتوقف عن تناول تفسير مثل تلك الآيات..

وأسوق للقارئ الكريم هذا النموزج من تفسيري الإمام الماوردي والإمام القرطبي ــ رحمهما الله ــ، وسنرى من خلاله الحكم في قضايا علمية جانب القولُ فيها الصواب.

يقول الإمام الماوردي ــ رحمه الله ــ في تفسير قوله ــ تعالى ــ:(وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٢]: "أي بسطها للاستقرار عليها، ردًّا على من زعم أنها مستديرة كالكرة "هـ.[٣]

---

١ – ينظر: تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ١ – ٣٩ د/ زغلول النجار.

٢ – سورة الرعد آية رقم: ٣ .

٣ – النكت والعيون ٣ – ٩٢ للإمام الماوردي. ط / دار الكتب العلمية ــ بيروت.

وكذلك ذَكَرَ الإمام القرطبي فقال:" في الآية ردٌّ على مَنْ زعَمَ أنَّ الأرض كالكرة.. والذي عليه المسلمون وأهلُ الكتاب القول بوقوف الأرض وسكونها ومدّها، وأنَّ حركتها إنَّما تكون في العادة زلزلة تصيبها "هـ[١].

هكذا قال الإمام الماوردي والإمام القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة !

فماذا يقول معترضو التفسير العلمي في هذا النموذج ؟

وهَل لنا أنْ نجيز هذا اللون من التفسير مع وضع الضوابط اللازمة له أم نرفضه تماماً مع العلم أنَّ تناول مثل هذه الآيات من السابقين ــ رغْم قصور العلم التجريبي في زمنهم ــ حقيقة مسلمة.. !؟

لقد أثبت العلمُ التجريبي أنَّ كروية الأرض حقيقة ثابتة، لكنها ليست كاملة التكوير أو الاستدارة، فقد أثبتت الحسابات الدقيقة أنَّ الأرض شبه كرة مفلطحة يبلغ طول قطرها القطبي ١٢٦٤٠ كيلو متراً، وهو يقل بذلك نحو ٣٤٠ كيلو متراً عن طول القطر الاستوائي، أمَّا مركز الأرض فيتركز فيه ثقلها وهو ذو كثافة عالية جداً.. [٢]

وقد صارت كرويةُ الأرض من الأشياء المسلم بها لا سيَّما وقد نقلت صورتها عبر الأقمار الصناعية وظهرت كالكرة العظيمة تسبح في هذا الفضاء الفسيح..

والآية الكريمة وإنْ كانت تدلُّ على امتداد الأرض فليس فيها ما يمنع كرويتها

---

١ – الجامع لأحكام القرآن٥ – ٣٠٥٩. للإمام/ القرطبي. طبعة خاصة بترخيص من دار الشعب دار الريان للتراث. باختصار

٢ – ينظر الإعجاز الكوني في القرآن الكريم ص٢٣ وما بعدها للدكتور / السيد الجميلي. ط / أولى ١٩٨٨م دار زاهد القدسي. ودائرة معارف القرن العشرين مادة " أرض "١ – ١٨١ لـ / محمد فريد وجدي – بيروت الثانية ١٩٧١. و المنهج القرآني للدراسات الكونية في القرآن– ص ٢٤٧ د/عبد العليم عبدالرحمن خضر– ط /دار السعودية / الثالثة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

على أن يكون الامتداد مع التكوير فقد ذكر الإمام أبوحيان في البحر " أنَّه قد ثبت بالدليل أنَّ الأرض كرة ولا ينافي ذلك قوله:(مَدَّ الأَرْضَ) وذلك أنَّ الأرض جسم عظيم، والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهدها كالسطح، فتأويل (مَدَّ الأَرْضَ) أنه جعلها بمقدار معين "[١].

ويعيب الإمام الألوسي على من قال بأنَّ الأرض ليست كروية، ويستفيد بما توصل إليه العلم في هذا الشأن.. مع الوقوف ــ في نفس الوقت ــ عند ما لا يستطيع العلم التجريبي الوصول إليه أو الحكم عليه.. ــ وهذا أحد ضوابط التفسير العلمي والتي سنعرض لها فيما بعد إن شاء الله ــ يقول رحمه الله ــ:" والحق الذي لا ينكره إلا الجاهل أو المتجاهل أنَّ ما ظهر منها " أي الأرض " كريٌّ حسّاً، ولذلك كرية الفلك تختلف باختلاف أوقات الصلاة في البلاد فقد يكون الزوال ببلد ولا يكون ببلد آخر وهكذا الطلوع والغروب وغيــر ذلك. وكرية ما عدا ما ذكر لا يعلمها إلا الله ــ تعالى ــ نعم إنها لعظم جرمها الظاهر يشاهد كل قطعة، وقطر منها كأنَّه مسطح وهكذا كل دائرة عظيمة، وبذلك يعلم أنه لا تنافي بين المدّ وكونها كرية "هـ[٢]

قلت: هذه مسألةٌ علميةٌ تعرّض لها العلماء في القديم والحديث بالقيل والقال ولم نر مَنْ هاجمهم، أو عدَّ ذلك منهم جرأة في تفسير كتاب الله ــ تعالى ــ لأنَّ الأمر في النهاية لا يعدو أنْ يكون اجتهاداً.. ومن المعلوم لدى الجميع أنَّ المجتهد يصيب ويخطئ..

فهذا أشهر ما اعتُرض به على التفسير العلمي مع محاولة الإجابة عليه..

---

١ – البحر المحيط ٦ – ٣٤٦ .

٢ – روح المعاني ٨ – ١٣٠. لـ/ العلامة أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغــدادي – ط – دار الــفكر – بيــروت ١٤١٧ هـ ــ ١٩٩٧ م.

وقد رأينا من خلال ذلك ضعف هذه الاعتراضات.. وأنَّ أقصى ما يمكن تصوره في هذا الشأن هو تقييد هذا اللون من التفسير بشروط وضوابط.. وذلك ما سنراه بعد عرض آراء المجيزين له دون تقيد بقيد أو شرط.. وبيان ما نتج عن ذلك من أخطاء ودخيل على التفسير.

ثانياً: بيان موقف المجيزين للتفسير العلمي دون تقيد بقيد، أو شرط وبيان ما نتج عن ذلك من أخطاء تفسيرية:

أقول وبالله التوفيق:

لم يكن موقف المجيزين لهذا اللون من التفسير ــ دون أنْ نعرفَ عنهم ضوابط له ــ بأحسن حالاً من المعترضين.. ذلك بأنهم انطلقوا فرحين مسرورين بهذا اللون من التفسير بغية مسايرة العصر ــ على زعمهم ــ وأنَّ أفضل ما يواجه به الغرب هو إثبات أنَّ القرآن قد حوى كل شئ وتحدث عن كل شئ بالتفصيل مرة وبالإجمال مرة أخرى.

وصار المطلع على تفاسير هؤلاء كأنه يقرأ في علم الطب أو علم الهندسة أو التاريخ والجغرافيا.. وهلم جرّا..

ورأينا على إثر ذلك شططاً وخروجاً عن جادة الصواب..

وأشهر المتحررين في هذا اللون من التفسير ــ مع ما نعلمه ــ من صدق نيته وحسن مقصده ــ هو الشيخ طنطاوي جوهري، وقد سبق الإشارة إلى تفسيره وبيان منهجه فيه.. ولكن لنسمع إليه وهو يدافع عن هذا اللون من التفسير دون أن يضع لنا شروطاً نتقيد بها أو منهجاً نلتزم به..

يقول ــ رحمه الله ــ:" يا أمة الإسلام ؛ آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرعاً من علم الرياضيات، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا

كلها.. هذا زمان العلوم، وهذا زمان ظهور نور الإسلام، هذا زمان رقيه، يا ليت شعري.. لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في آيات الميراث ؟ ولكني أقول: الحمد لله.. الحمد لله، إنك تقرأ في هذا التفسير خلاصات من العلوم، ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض، لأنه فرض كفاية، فأما هذه فإنها للازدياد في معرفة الله وهى فرض عَيْن على كل قادر.. إنَّ هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن، هي التي أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام، فهذا زمان الانقلاب، وظهور الحقائق، والله يهدى مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم".هـ[١]

ويقول في موضع آخر: " لماذا أَلَّف علماءُ الإسلام عشرات الألوف من الكتب في علم الفقه.. وعلم الفقه ليس له في القرآن إلا آيات قلائل لا تصل إلى مائة وخمسين آية ؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه، وقلَّ جداً في علوم الكائنات التي لا تكاد تخلو منها سورة ؟

بل هي تبلغ سبعمائة وخمسين آية صريحة، وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة. فهل يجوز في عقلٍ أو شرعٍ أن يبرع المسلمون في علمٍ آياته قليلة. ويجهلوا علماً آياته كثيرة جداً ؟ إنَّ آباءنا برعوا في الفقه، فلنبرع نحن الآن في علم الكائنات.. لنقم به لترقى الأُمة "[٢]

وفي موضع آخر يقول " بهذا الكتاب وأمثاله سيستيقظ المسلمون سريعاً، وسيجيء جيلٌ لم تشهد الأرض مثله.. أيُّها المسلمون هذا هو علم التوحيد في الحقل والجبل والزرع والشجر والثمر والشمس والقمر، لا في الكتب المصنفة المشهورة،

---

١ - تفسير الجواهر ٣ ــ ١٩.

٢ - تفسير الجواهر ٢٥ ــ ٥٣.

هي والله مبعدة عن حكمة الله، ومبعدة عن معرفة آياته "[١] !!

وبمثل هذا الحماس رأينا الكثيرَ والكثيرَ ممن لهم شغف بهذ اللون من التفسير.. " ومن هؤلاء: المرحوم السيد / عبد الرحمن الكواكبي [٢] وكتابه في ذلك " طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد " وهو عبارة عن مجموع مقالات له، نشرها في بعض الصحف عندما زار مصر سنة ١٣١٨هـ. والأستاذ / مصطفى صادق الرافعي [٣] في كتابه: إعجاز القرآن، والدكتور الطبيب/ عبد العزيز إسماعيل [٤] في كتابه الإسلام والطب الحديث "[٥] والأستاذ الدكتور / مصطفى محمود في عدة كتب من أشهرها: القرآن محاولة لفهم عصري.. وإنْ كان قد أجاد في معظم هذا

---

١ – تفسير الجواهر ١ ــ ٦٦.

٢ – هو: عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي (١٢٦٥- ١٣٢٠ هـ = ١٨٤٩ – ١٩٠٢ م)، ويلقب بالسيد الفراتي: رحالة، من الكتاب الأدباء، ومن رجال الإصلاح الإسلامي. ولد وتعلم في حلب، وأنشأ فيها جريدة (الشهباء) فأقفلتها الحكومة، وجريدة (الاعتدال) فعطلت، وأسندت إليه مناصب عديدة. ثم حنق عليه أعداء الإصلاح، فسعوا به، فسجن. (الأعلام ٣ ــ ٢٩٨).

٣ – مصطفى الرافعي (١٢٩٧ – ١٣٥٦ هـ) (١٨٨٠ – ١٩٣٧ م) مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن محمد سعيد بن احمد بن عبد القادر الرافعي أديب، كاتب، شاعر. أصله من طرابلس الشام، وولد في هتيم من قرى مديرية القليوبية في كانون الثاني، ودرس في مدرسة دمنهور الابتدائية، ثم في المنصورة، ونال الشهادة الابتدائية، وعين كاتباً في محكمة طنطا الأهلية، وأصيب بصمم، فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به، وانتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق. وتوفي في طنطا بمصر في ٢٩ صفر ١٣٥٦ هـ، ودفن فيها بمقبرة الأسرة الرافعية. من آثاره: ديوان شعر في ثلاثة أجزاء، تاريخ آداب العرب في جزأين، السحاب الأحمر، المساكين، وإعجاز القرآن.(الأعلام ١٢ ــ ٢٥٧).

٤ – هو: عبد العزيز إسماعيل " باشا "(١٣٠٦ – ١٣٦١ هـ = ١٨٨٩ – ١٩٤٢ م): طبيب مصري. ولد في " بلقاس " من أعمال الغربية، وتعلم الطب في القاهرة، ثم في إنكلترة، ودرس الأمراض الباطنة، ثم كان أستاذاً للدراسات العالية بمدرسة الطب المصرية. وتوفي بالقاهرة. له " الإسلام والطب الحديث – ط " ورسالة في " الطب والقرآن – ط " ومقالات في المجلات الطبية الإنكليزية وفي المجلة الطبية المصرية.(الأعلام ٤ ــ ١٥).

٥ – ينظر: التفسير والمفسرون ٢ /٥٣٥ – ٥٤١.

الكتاب لا سيِّما تلك المبادئ الصريحة التي أوجب التزامها في التفسير والتي قالها رداً على تحريفات الباطنية والبهائية [١] إلاَّ أنَّ هناك كثيراً من الشطحات التي وردت فيه..

فمثلاً عندما تعرَّض لقضية خلق آدم ــ عليه السلام ــ ذكر أنَّ قوله ــ تعالى ــ:(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) [٢] تحدّد أنَّ خلق الإنسان تمَّ على مراحل زمنية والزمن بالمعنى الإلهي طويل جداً.(وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)[٣] وفي مكان آخر:(تَعْرُجُ الْمَلآئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)[٤]...

معنى هذا أنَّ آدم جاء عبر مراحل من التخليق والتصوير والتسوية استغرقت ملايين السنين بزماننا وأياماً بزمن الله الأبدي..(وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) [٥].. ومعناها أنه كانت هناك قبل آدم صور، وصنوف من الخلائق جاء هو ذروة لها (هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا)[٦] إشارة إلى مرحلة بائدة من الدهر لم يكن الإنسان يساوي فيها شيئاً يذكر.. (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ) [٧] وهي إشارة صريحة بأنَّ الإنسان لم يخلق من الطين ابتداءً.. وإنَّما خُلِق من سلالات جاءت من الطين.. هناك مرحلة متوسطة بين الإنسان والطين.. هي

---

١ – ينظر: القرآن محاولة لفهم عصري ص ١٥٦. لـ/ الدكتور / مصطفى محمود. ط / دار المعارف ــ الطبعة الثانية.

٢ – سورة الأعراف آية رقم: ١١ .

٣ – سورة الحج آية رقم: ٤٧ .

٤ – سورة المعارج آية رقم: ٤ .

٥ – سورة نوح آية رقم: ١٤ .

٦ – سورة الإنسان آية رقم: ١ .

٧ – سورة المؤمنون آية رقم: ١٢ .

سلالات عديدة متلاحقة كانت تمهيداً لظهور نوع الإنسان المتفوق..»[١]

هذا ما ذكره الأستاذ الدكتور / مصطفى محمود في قضية خلق الإنسان وقد نزعَ فيها منزعاً مادياً وفلسفياً.. دون التقيد ــ بما ألزم به نفسه ــ بالأصول والقواعد اللازمة لتفسير كتاب الله ــ تعالى ــ.

وكلُّ ما ذكره في هذا المقام من قبيل التأويلات البعيدة المبهمة.. والآيات التي أوردها إمَّا خاصة بمراحل خلق آدم ــ ﷺ ــ أو مراحل خلق ذريته من بعده..[٢]

---

١ - القرآن محاولة لفهم عصري ص ٥٧ - ٥٨.

٢ - قضية تطور خلق الإنسان ــ أعني بالمفهوم الذي ساقه الأستاذ الدكتور / مصطفى محمود ؛ والتي قلَّد فيها دارون صاحب هذه النظرية مع الفارق لديهما في الأسباب التي أدت إلى هذا التطور ؛ حيث يرى دارون تطور هذه الكائنات بذاتها وتحورها بأنفسها ويرى الأستاذ الدكتور / مصطفى محمود تطورها بالعناية الإلهية الربانية.. ــ أقول إنَّ هذه القضية ــ رغم الأسباب والدوافع لدى قائليها ــ قد ردَّها كثيرٌ من علماء الغرب.. منهم الدكتور / جوستاف جولبر الذي يقول:" يكفي لإبطال نظرية داروين أنْ يتأمل الإنسان الحشرة ؛ فإنَّها ظهرت في أقدم العصور في الحياة الأرضية، فإنَّها تنقلب من حال الدودة إلى حشرة طائرة، ولا تأثير لشيء عليها من الخارج، كما أنَّ الهوة عميقة بين الحالة الأولى وهي دودة، وبين الحالة الثانية، وهي كونها حشرة، وهي هوة تضيع فيها جميع نظريات الداروينية الماركسية، فالحشرة أدت شهادة حسية ضد مذهب داروين، كما أثبتت عجزه في تفسير غرائزها الأولية..

ويقول فون باير ــ مؤسس علم الأجنة ــ:" إنَّ الرأي القائل: إن النوع الإنساني متولد من القردة السيمانية، هو بلا شك أدخل رأي في الجنون، قاله رجل على تاريخ الإنسانية، ويقول دوفرى: إن التحويلات الفجائية هي القاعدة في عالم الحيوانات وقد أظهر هذه الحقيقة جوفر، وسان هيلي، وكوب، وثبت أنَّ الظهور الفجائي للأنواع الكبيرة الرئيسية ؛ كالزواحف والطيور وذوات الثدى كان في الأرض الجيولوجية، ومتى ظهرت حصلت على صفاتها الكاملة..(ينظر: الدخيل في تفسير القرآن الكريم ص ١٣٥ ــ ١٣٦ د / حسين محمد إبراهيم محمد عمر، ومجلة المنار ٤٨ ــ ٦ للشيخ: محمد رشيد رضا) ثم أين الدليل على أنَّ الإنسان الكامل ــ المتمثل في آدم ــ ﷺ ــ وذريته نتاج جيل سبقه، وهل من الأبحاث العلمية ما يستطيع أن يفرق بين هاتين المرحلتين.. ؟!!

ثم إنَّ حتمية التطور تقتضي أن يكون الجيل اللاحق أكمل وأعلى من الجيل السابق وهذا مردود من =

وسنرى ــ ونحن بصدد ذكر الشروط اللازمة لهذا اللون من التفسير نماذج أخرى لهذا الشطط التفسيري..

وجملة القول في هذا المقام: إنَّ الاندفاع وراء هذا اللون من التفسير دون ضوابط وشروط يؤدي إلى التأويلات البعيدة والغريبة على كتاب الله ــ تعالى ــ.

ثم إنَّه بعد هذا العرض السابق لآراء المعترضين، والمجيزين لزم على المشتغلين بعلوم القرآن ودراسته أن يقننوا لهذا التفسير ويضبطوه حتى لا يكون كلاً مباحاً لمن هبَّ ودبَّ..

وهذه أمانةٌ علمية تقع على عاتقهم.. إذ إنَّه من البعيد الآن لفظُ هذا اللون من التفسير خاصة في هذا العصر الذي تتوالى فيه الاكتشافات العلمية، والاختراعات الحديثة وتغلُّبِ المادة على عقول وأذهان كثيرٍ من الناس كما أنَّه من الأبعد أن نترك أصحابه ليقولوا فيه ما بدا لهم.

ومن هذا المنطلق قام فريقٌ ثالث من المهتمين بالدراسات القرآنية بوضع الشروط اللازمة لقبول هذا اللون من التفسير.. وفيما يلي عرض هذه الشروط والضوابط..

= واقع التاريخ.. فالقدماء المصريون مثلاً كانت لهم براعة في علوم شتى منها علم الطب حتى وصلوا فيه إلى ما يعدُّ سراً ولغزاً في العصر الحديث وهو علم التحنيط، وبرعوا كذلك في علم الهندسة حتى وصلوا إلى بناء تلك المعابد والأهرامات التي حيرت الدنيا " !!.

ثالثاً: موقف المجيزين لهذا اللون من التفسير شريطة توافر الضوابط اللازمة لقبوله.

أقول وبالله التوفيق:

إنَّ هذا اللون من التفسير يمكن الاستفادة منه واعتباره منهجاً تفسيرياً يخدم كتاب الله ــ تعالى ــ إذا ما التزم بما سطره العلماء من الضوابط والشروط التي تضمن له القبول وعدم الحرج منه..

وفيما يلي محاولة حصر هذه الضوابط والشروط مع التطبيقات والشواهد التي يظهر من خلالها مدى الالتزام أو عدم الالتزام بها.

أولاً: ليعلم المفسر أنَّ القصد من نزول القرآن الكريم هو هداية الخلق فعليه بيان ذلك مع التدليل على إعجازه وغرس هدفه..[١] فما يذكر من مسائل العلوم الحديثة يُذكر لا لأنَّه التفسير وكأنَّ القرآن لم يفسر من قبله ولا لأنَّه المقصود للقرآن فقط بل لبيان أنَّ القرآن يهدي به ولا يصادمه، ولتعيق الشعور الديني لدى المسلم..

ويذكر على وجهٍ يدفع المسلمين إلى النهضة، ويلفتهم إلى جلال القرآن، ويحركهم إلى الانتفاع بقوى هذا الكون الذي سخره الله لنا، انتفاعاً يُعيد للأمة الإسلامية مجدها.[٢]

ومن ثَمَّ فالمفسِّر محتاج إلى العلم الحديث " لأنَّه قد يكون لبيان حقيقة المعنى القرآني، أي تفصيلاً، فمثلاً معرفة حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان تأتي من معرفة علم الهيئة، فيذكر منه ما يوضح هذه الحقيقة.

---

١ – ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد ص ٧٨٣.

٢ – ينظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ١ – ٢٨٣ د / فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. ط ٢ ــ مؤسسة الرسالة ١٩٨٣م، ومناهل العرفان ٢ – ١٠٢ .

وقد يكون لمعرفة كمال المعنى فمثلاً معرفة كمال معنى قوله ــ تعالى ــ(فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ [١]) تأتي من معرفة علم التشريح.

وقد يكون لتصحيح المعنى والتذكير بوجه الصواب. فمثلاً قوله – تعالى– (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا [٢]) فإنَّ الكشف العلمي الحديث يفيد الباحث العصري في تصحيح معنى البسط ويذكره أنَّ نقيض البسط هو القبض وليس هو الاستدارة الكروية ".[٣]

ثانياً: على المفسر إيجاد الحلول المطلوبة لدفع توهم التناقض بين بعض النصوص وبعض ؛ ذلك أنَّ العلم الحديث واجه أمثلة جديدة لم تكن مشكلة فيما قبل فمثلاً ثبات الجبال المشار إليه في مثل قوله ــ تعالى ــ (وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ)[٤] وعدم ثباتها المذكور في قوله ــ تعالى ــ(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)[٥]. لم يكن مشكلة لما أنَّ الزمان مختلف فالثبات قبل يوم القيامة وعدمه قربها.

لكن لمَّا قال العلم الحديث بأن الثبات مع سيرها كسير السحاب في زمن واحد كانت في الظاهر مشكلة وكان الحل: أنها ثابتة في محلها من الأرض سائرة بسير الأرض وحركتها حول نفسها وحول الشمس ولا إشكال ؛ ومثل ذلك كمثل رحا تدور عليها كتلة صخر وهذه لا تتزحزح ولا تسقط وهي تتحرك بحركة الرحا وثباتها راجع إلى أنَّ الحركة حركة رتيبة معنية مقدرة بقدر يبقى معه ذلك الثبات..

---

١ – سورة الانفطار آية رقم: ٨ .

٢ – سورة نوح آية رقم: ١٩ .

٣ – ينظر: القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين ص ٢٥٧ . للشيخ محمد الصادق عرجون ــ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٦٦م، والفلسفة القرآنية لعباس العقاد ص ٢٠٧ .

٤ – سورة النحل آية رقم: ١٥، وسورة لقمان آية رقم: ١٠.

٥ – سورة النمل آية رقم: ٨٨.

وفيما سبق مثال صالح من بسط الأرض وكرويتها، فإنه لا تناقض بينهما فإنَّ البسط ضده القبض لا التكور وليست الأرض منقبضة هنا.

فإنْ بدا لأحدٍ تناقض في شيء من النصوص فمِن سوء فهمه أو تقصيره في البحث أو نقص العلم.. [١]

ثالثاً: استحالة التناقض بين حقائق العلم، وبين النصوص التي اجتمع لها كلٌّ من قطعية الثبوت وقطعية الدلالة:

وذلك لأنَّ الجميع مردُّه إلى الله ــ تعالى ــ، فمثلاً قوله ــ تعالى ــ (لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [٢]) الفلك: هو المجرى الدائري الذي يسبح فيه الكوكب وضمير الجمع في (يسبحون) لثلاثة سبقت هي الأرض في (وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا [٣]) والشمس والقمر (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا [٤]) (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ [٥]) والآية المذكورة: فدلَّ ذلك على أنَّ الأرض متحركة سابحة في فلك. وعَمِلَ قومٌ على إخراج الأرض من مرجع الضمير أو على التصرف في القول حتى يكون مرجعه شيئاً آخر، فكان هذا منهم مصادمة لظاهر الآية.. ودعاهم إلى ذلك ما يعتقدونه من أنَّ الأرض ثابتة ــ وهو مذهب القدماء من علماء الهيئة ونقله الفارابي في مؤلفاته العربية وتبعه ابن سينا وأخذ به فلاسفة الإسلام واعتقدوا ذلك ورسخ في عقولهم وأقاموا على ما يرونه أدلة صحيحة برهانية، وهذا التناقض مستحيل، وما عرف من النص من

١ – ينظر: الإسلام في عصر العلم ص ٢٩٩، د / محمد أحمد الغمراوي – ط دار الكتب الحديثة.
٢ – سورة يس آية رقم: ٤٠.
٣– سورة يس آية رقم: ٣٣ .
٤ – سورة يس آية رقم:٣٨ .
٥– سورة يس آية رقم: ٣٩ .

حركة الأرض – مع بعض الأدلة القرآنية الأخرى على حركتها – أمرٌ يقيني ومتقرر من القرآن في ضوء القواعد الأصولية والتفسيرية في بعض المراجع بالتفصيل، والصحيح هو المذهب الأول (حركة الأرض) كما أخذ من الآية – وكان فيثاغورس ومن تبعه قائلين بحركتها، وهو المذهب الذي يوافق ما يؤخذ من الآية اليوم وقد أخذ به علماءُ الهيئة الجديدة وأثبتوا ذلك ببراهين عدة بينوها في كتبهم وتبين فساد مذهب السكون.. [١].

فلا صدام إذاً بين قطعي من الوحي، وقطعي من العلم التجريبي. وأنَّ ما قد يبدو من ذلك في الظاهر فإنَّه يعكس خللاً في اعتبار قطعية أحدهما، وأنَّ نصوص الوحي نزلت بألفاظٍ جامعةٍ تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواضعها التي قد يتتابع ظهورها جيلاً بعد جيل، وإذا وقع التعارض بين قطعي من النصوص وظني من العلم رفضت النظرية العلمية وإن توافقا كان النص دليلاً على صحة تلك النظرية، وإن كان النص ظنياً والحقيقة قطعية أوّل النص إليها[٢].

١ – ينظر: توفيق الرحمن ص ٤٢، ٤٣، ١٢٢ للشيخ محمد بخيت، ط دار السعادة ١٣٤١هـ، والأصيل والدخيل في تفسير القرآن وتأويله رواية ودراية لـ د/ عبد الغفور مصطفى ص ١٩٨ – ١٩٩ والإعجاز الكوني في القرآن ص ٢٣.
٢ – مدخل إلى القرآن الكريم لـ أنور الجندي ص١٧٩ دار الاعتصام بدون.

رابعاً: أن يكون الاتصال وثيقاً بين الحقيقة العليمة والنص:

فلا يكون المعنى مذكوراً مع النص لأدنى ملابسة، ولا يكون مستبعداً ولا ملصقاً بالنص إلصاقاً.. فهذا لا يكون من التفسير في شيء، وإن ربط بالنص كان برباط ضعيف..

ومِنْ ذلك قول من قال [١] بأن إنكدار النجوم في قوله ــ تعالى ــ(وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ) [٢] يعني الاستغناء عن الاستفادة بضوئها بأضواء الكهرباء.

ومن ذلك ما يستطرد إليه الشيخ طنطاوي جوهري كإيراده حكاية الفيل والخياط، وكيف يصاد الفيل، وأين يعيش، وماذا يفعل بقانصه لو أخطأه... الخ، عند تعرضه لتفسير سورة الفيل [٣].

فالتمحل لحمل القرآن على معنى معين ليقال إنَّ القرآن قد سبق العلوم العصرية، أو نحو ذلك، هذا التمحل مرفوض وهو تكلُّف لا معنى له، والقرآن في غنى عنه ؛ لأنه قد ثبت صدقه وإعجازه. وإنَّما ينبغي أن يفسر بما تحمله العبارة، وما تحمله الجملة، ويحتمله اللفظ.. [٤].

خامساً: أن لا يخرج التفسير عن الأصول الإسلامية:

فينبغي مراعاة اللغة، ودلالات ألفاظ القرآن الكريم وسنة الرسول ــ ﷺ ــ مع الأخذ بمعطيات العلم.

---

١ – هو الشيخ أحمد الصديق الغماري في كتابه (مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية ــ ﷺ ــ) ص ٣٢ ط / مكتبة القاهرة ــ الطبعة التاسعة ١٤٢٩ هـ ــ ٢٠٠٨ م.

٢ – سورة التكوير آية رقم: ٢.

٣ – تفسير الجواهر ٢٥ / ٢٦٢ – ٢٦٣ .

٤ – مدخل إلى القرآن الكريم ص ١٧٩.

فالقول ــ مثلاً ــ بأنَّ الأرضين السبع هي طبقات سبع مجموعة في أرضنا هذه فقط قولٌ لا يتفق مع هذه المعطيات ذلك أنَّ (ألْ) في الأرض في قوله ــ تعالى ــ(وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) [١] هي حتماً للجنس لا للعهد، بدليل قوله ــ تعالى ــ(مِثْلَهُنَّ) والسماوات السبع متعددة ليس في ذلك شك، فلا بُدَّ أن تكون الأرضون السبع متعددة على نفس النحو والنمط.

فتفسير الأرضين السبع بطبقات سبع في هذه الأرض لا يتفق مع اللغة، ولا مع العلم، ولا مع القرآن، ولا مع الحديث الكريم " اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ الأَرَضِينِ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ [٢]" [٣].

ثم إنَّه يقال في نفس الوقت:" إنَّه لا خوف على الحقيقة العلمية ما دام العلم يطبق فروضه على الواقع ويمحصها بالتجربة والاختبار، فليست الفروض العلمية كالفروض الخيالية البحتة، وإذا ترجَّح الظن بصدق نظرية فلا بأس بتقديم مدلولها بشرط وصفه بأنه مجرد احتمال إن تلاشي يوماً فلأن قائله لم يدرك المعلومة القرآنية لا لتلاشيها هي "[٤].

سادساً: الجمع الجيد للنصوص المرتبطة بموضوع واحد، وعدم الاقتصار على بعضها في بيان المطابقة: فلا يتراخى الباحث في الاستنباط ولا يهمل إشارة..

---

١ – سورة الطلاق آية رقم: ١٢ .

٢ – أخرجه ابن حبان في صحيحه باب المسافر " ذكر ما يقول المسافر إذا رأى قرية يريد دخولها رقم: ٢٧٠٩ قال محققه ــ شعيب الأرنؤوط ــ:" إسناده حسن. وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه كتاب المناسك، باب الدعاء عند رؤية القرى اللواتي يريد المرء دخولها رقم: ٢٥٦٥ قال محققه ــ الشيخ الألباني ــ:" إسناده حسن لغيره ".

٣ – ينظر: الإسلام في عصر العلم ص ٢٦٤ – ٢٦٥.

٤ – ينظر: نظرات في القرآن ص١٣٣ للشيخ محمد الغزالي، ط / دار الكتب الحديثة بدون تاريخ، والأصيل والدخيل في تفسير القرآن وتأويله رواية ودراية ص ٢٠٠ .

وعليه وهو يستنبط من القرآن للمطابقة بينه وبين الحقائق العلمية التزام هذا المبدأ..

فمثلاً لفظ [بناء] في القرآن لم يرد إلا متعلقاً بالسماء (وَالسَّمَاء بِنَاءً)[١]. ولفظ [بنيان] لم يرد إلا متعلقاً بما يبني الإنسان في الأرض مثل (فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً)[٢]. ومثل (قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً)[٣]. وهذا – كما قال الغمراوي في كتابه الإسلام في عصر العلم ــ:" أمرٌ له دلالته وإشارةٌ دقيقة إلى أنَّ هناك فرقاً بين طبيعة بنيان السماء، وطبيعة البنيان في الأرض، والفرق ــ فيما يبدوا لأوّل وهلة ــ أنَّ البناية في الأرض متلاحمة الأجزاء، لبنة إلى جانب لبنة، أمَّا السَّماء فلبناتها الكواكب والنجوم وما إليها، وليس فيها نجمٌ يمسُّ نجماً..ــ إلى أنْ قال ــ:" فالأقرب القنطوري [٤]ــ مثلاً ــ، يفصل بين نجميه نحو ألفي مليون ميل، وتتمُّ الدورة بينهما في نحو ثمانين سنة، كأنَّما هما جسم واحد يدور حول محور له.."هـ[٥]

سابعاً: التيقظ إلى ذلك الأسلوب الحكيم العجيب – في الآيات الكونية ونحوها – الذي لا يصدم العامة، ولا يتحجر أمام الخاصة:

ذلك أنَّ القرآن العظيم له أسلوبه الحكيم في مخاطبة الناس على قدر عقولهم من غير مخالفة للحقيقة الكونية في شيء، بل إذا آن الأوان، وأظهر اللهُ عباده على هذه الحقيقة كان التعبير القرآني دالاً عليها إما تصريحاً، وإما إشارة وكناية في اللغة التي أعدها الله لتحمل معانيه، وهذا إعجاز في الأسلوب فضلاً عن المعنى لا يقدر عليه إلا الله.

---

١ – سورة البقرة آية رقم: ٢٢، وسورة غافر آية رقم: ٦٤.

٢ – سورة الكهف آية رقم: ٢١.

٣ – سورة الصافات آية رقم: ٩٧ .

٤ – الأقرب القنطوري: هو أقرب النجوم إلينا بعد الشمس يصل إلينا ضوؤه بعد ٤،٣ سنوات من انطلاقه من النجم.(تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ٤ ــ ١٢٨).

٥ – الإسلام في عصر العلم ص ٣٨٢ – ٣٨٣.

ومن النماذج التي توضح لنا ذلك قوله ــ تعالى ــ:(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [١]) فقد فهم الفلاسفة والمفسرون في ضوء علم الفلك القديم على أنه جري الشمس لا من ذاتها بفلكها الذي يدور بها حول الأرض فينتج الشروق والغروب، معنى هذا أنه جري مجازي، مع أنَّه لا قرينة علمية في النص، والحقيقة العلمية الجديدة أنَّ الشمس تجري جرياناً ذاتياً – لا مجازياً – في اتجاه النسر الواقع، وهو جري لا علاقة له بالشروق والغروب. أما الجري المنتج للشروق والغروب فهو للشمس في الظاهر وللأرض في الحقيقة والواقع [٢].

فهذا النص الكريم قد أبهم شيئاً على جمهور عصر النزول ومَنْ إليهم لئلا يشوش أذهانهم، فالتشويش مناف لمنهاج البلاغة والإرشاد، فإنَّهُ لو قال مثلا – أيها الناس انظروا إلى سكون الشمس وحركة الأرض – ونحو ذلك – لأوقع الجمهور إمَّا في التكذيب وإمَّا في المغالطة والمكابرة مع أنفسهم بسبب أنَّ حسَّهم الظاهري – أو غلط الحس – يرى سكون الأرض ودوران الشمس من البدهيات المشاهدة..

ولو كشف القرآنُ لهم اللِّثام عن ثنايا الحقيقة ليدلهم على تقدير العزيز العليم لكان الدليل أخفى عليهم بحسب مدركاتهم، وأغمض وأشكل بكثير من المدعى، وهذا مناف لقاعدة الاستدلال. ثم لأنها من قبيل الكنايات لا يكون معناها مدار صدق وكذب (المقصود هنا كون الشمس تجري)، فكان مقتضى الإرشاد والبلاغة تأنيس معتقداتهم الحسية ومماشاة معلوماتهم الأدبية.. مع وضع قرائن وأمارات تشير إلى الحقيقة لأهل التحقيق..[٣].

---

١ – سورة يس آية رقم: ٣٨ .

٢ – ينظر: الإسلام في عصر العلم ص ٢٨٠ – ٢٨٣، ٢٩٤ والتفسير والمفسرون في ثوبه الجديد ص ٧٨٩ .

٣ – إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ص ١٧٦ – ١٧٧ تأليف بديع الزمان سعيد النورسي – الناشر: شركة سوزلر للنشر – القاهرة – مصر بدون تاريخ.

ثامناً: مراعاة الاستعمالات والمعاني العربية:

ذلك أنَّ من أعظم ما يعين على توضيح المعنى هو الرجوع إلى متن اللغة والمعاني كما ورد في القواميس. ومخالفة ذلك مما يوقع في التأويلات البعيدة، والمعاني الغريبة..

وذلك كما فسَّر البعض (الطير) في قوله ــ تعالى ــ(وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ)[١]. بأنها الجراثيم [٢]. فهذا كلام لا يستقيم مع الأساليب العربية ؛ لأنَّ المعنى يصير: وأرسل عليهم جراثيم ترميهم بحجارة.. !!.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الدكتور / السيد الجميلي (الطبيب):" أنَّ (أَبَابِيلَ) تعني البلبلة، حيث الإصابة ببلبلة الفكر تبلبل رءوسهم. ويذهب كما ذهب غيره إلى أنَّ الحجارة في قوله ــ تعالى ــ(تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ [٣]) ما هي إلا ميكروبات وقال: إنَّ الحجارة لو كانت من جهنم ما احتجنا إلى الفاء في (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ [٤]) الدَّالة على التعقيب والفترة ولو قصيرة جداً بين العدوى بالميكروب والعصف المأكول، فالجهنمية تفعل فعلها بلا فترة فكان يقتضي التعبير بواو المعية لا بالفاء الفجائية، فهي حجارة دنيوية (ميكروبية)..."[٥].

فكلُّ هذا لا يصح " فالباء واللام ليستا مكررتين في أبابيل، فضلاً عن أنَّ الوصف للطير لا لرؤوس الكفار المبلبلة !..

---

١ – سورة الفيل آية رقم: ٣.

٢ – قاله الشيخ محمد عبده في تفسيره لجزء عمّ عند الآية الكريمة ص ١٢٠ [مطابع الشعب]، وقد جوز العقاد بدون جزم أنها الميكروبات في كتابه: الإسلام دعوة عالمية ص ٢٠٦ – ٢٠٧ ط المكتبة العصرية – لبنان بدون تاريخ.

٣ – سورة الفيل آية رقم: ٤ .

٤ – سورة الفيل آية رقم: ٥ .

٥ – الإعجاز الطبي في القرآن ص١٠١ د/ السيد الجميلي. ط دار التراث العربي – بدون تاريخ.

كما أنَّ ما تخيله من فترة بسبب دلالة الفاء لا يصح له، وما أوجبه من الفورية لو كانت الحجارة جهنمية ليس واجباً، بل الفورية والمعيَّة والتراخي – كلٌّ – كما يشاء الله يكون، والجهنَّميون كلَّما نضجت جلودهم بدَّلها الله ــ تعالى ــ وليس في الآية أنَّ النضج فوري، أي في قوله ــ تعالى ــ(كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا [١]) ؛ وإذا قلنا ضربه فأوجعه – أو ضربه فقتله – فهل هناك فترة لازمة من الفاء بين الضرب والوجع أو بين الضرب والموت !..[٢].

يقول الأستاذ الدكتور / عبد الغفور محمود مصطفى جعفر ــ رحمه الله ــ:" وينبغي الاحتراز من المعاني التي جاءت من تطور الاستعمال، وخالفت معاني الألفاظ في عصر النزول.. فينبغي الاحتراز من ذلك فضلاً عن المعاني العامية.. ولا أقصد المعاني التي جاءت من مكتشفات العلم، وتتلائم مع معاني عصر النزول كما في معنى (لواقح) في قوله ــ تعالى ــ:(وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ [٣]) فتفسيرها من الناحية العلمية أنَّ الرياح لواقح للسحاب بمعنى أنَّها تعمل على سوق السحاب المشحون بالموجب من الكهرباء، والمشحون بالسالب بعضه إلى بعض فتتحد الكهربائيتان، ويحدث التفريغ الكهربائي فيتكاثف السحابُ مطراً وينزل ماؤه سُقياً للناس.

فهذا تفسيرٌ علميٌ أشار إليه السابقون من العلماء ــ بل رجَّحه الخازن في تفسيره – مع ما اشتهر عنهم أيضاً بأنَّ معنى أنَّ الرياح لواقح أنها تلقح الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها ولا مانع من إرادة كون الرياح لواقح بكل هذه

---

١ – سورة النساء آية رقم: ٥٦.

٢ – التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد ص ٧٩٠ – ٧٩١.

٣ – سورة الحجر آية رقم: ٢٢ .

المعاني.. "هـ"[١].

تاسعاً: مراعاة القواعد النحوية ودلالاتها:

فالاستدلال – مثلاً – بقوله ـ تعالى ـ(أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا [٢]) بأنَّهُ انفصال القمر عن الأرض. استدلال خاطيء لا ينطبق على الفعل المضارع الذي جاء في الآية دالاً على عمل متكرر متجدد.. وانفصال القمر عن الأرض على المعنى السابق قد حصل مرة واحدة. وفضلاً عن هذا النقصان المضارعي يوجد فعل الإتيان المضارع [٣].

والتفسير العلمي لنقصان الأرض من أطرافها يذكره لنا الأستاذ الدكتور / زغلول النجار في النقاط التالية:

أولاً: في إطار دلالة لفظة الأرض على الكوكب ككل نجد ثلاثة معان علمية بارزة يمكن إيجازها فيما يلي:

أ – نقص [٤] الأرض من أطرافها بمعنى انكماشها على ذاتها وتناقص حجمها باستمرار..

ب – نقص الأرض من أطرافها بمعنى تفلطحها قليلاً عند القطبين وانبعاجها قليلاً عند خط الاستواء..

جـ – نقص الأرض من أطرافها بمعنى اندفاع قيعان المحيطات تحت القارات

١ – التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد ص٧٩٠ – ٧٩١، ٧٩٥ بتصرف شديد واختصار، وينظر: لباب التأويل ٤/ ٥٢ عند الآية . والإسلام في عصر العلم ص ٤٠٥ – ٤٠٧.

٢ – سورة الرعد آية رقم: ٤١ .

٣ – ينظر التفسير والمفسرون د/ الذهبي ٢ / ٥٣٦، والتفسير والمفسرون في ثوبه الجديد ص ٧٩٢.

٤ – عبارة المؤلف " إنقاص " والصواب " نقص " لأنَّ " نقص " فعل متعد بنفسه لا يحتاج همزة التعدية.

وانصهارها ؛ وذلك بفعل تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض..

ثانياً: في إطار دلالة لفظ الأرض على اليابسة التي نحيا عليها.

نجد لها معنيين علميين واضحين نوجزهما فيما يلي:

أ – نقص الأرض من أطرافها بمعنى أخذ عوامل التعرية المختلفة من المرتفعات وإلقاء نواتج التعرية في المنخفضات من سطح الأرض حتى تتم تسوية سطحها..

ب – نقص الأرض من أطرافها بمعنى طغيان مياه البحار والمحيطات على اليابسة ونقصها من أطرافها..

ثالثاً: في إطار دلالة لفظ الأرض على التربة التي تغطي صخور اليابسة. نقص الأرض من أطرفها بمعنى التصحر.."[١].

وقد تناول الأستاذ الدكتور / زغلول النجار هذه النقاط بالشرح والتحليل ملتزماً في ذلك كله بالقواعد النحوية ودلالاتها..

عاشراً: مراعاة القواعد البلاغية ودلالتها:

ومن ذلك أنْ لا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية في نفس الكلام.

ونذكر قوله ـ تعالى ـ:(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ[٢]). فالمفسرون – كالفلاسفة – حملوا الجري على المجاز مع أنَّه لا قرينة – كما سبق في المبدأ السابع، والمقصود أنَّه لا قرينة تصرفه عن الحقيقة..

١ – تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ١ / ٤٢١ – ٤٢٩.

٢ – سورة يس آية رقم: ٣٨ .

ولا مانع – في نفس الوقت – من الأخذ بالحقيقة والمجاز معاً، لما يلي:

أنَّ نصب القرينة المانعة – في المجاز – إنَّما يشترط في تعيينه دون احتماله فإذا تضمن نكتة ساوى الحقيقة فيمكن الحمل عليهما نظراً إلى الأصالة والنكتة. قاله الإمام الألوسي وهو حنفي كما نعلم "[١].[٢].

حادي عشر: القول بكل المعاني التي يحتملها النص:

وهذا ممَّا له صلة بالمبدأ السابق حيث تقرَّر فيه الأخذ بالحقيقة والمجاز معاً.. ونؤكد على ذلك في هذا المبدأ من أنَّ الإمام ابن جنى قرَّر القولَ بالمعنيين المحتملين عند العرب حتى لو كان أحدهما ضعيفاً [٣].

---

١ – ينظر: الإسلام في عصر العلم ص ٢٥٩، ٣٠٠. وروح المعاني ١ – ١١٩ للإمام الألوسي عند تفسيره لقوله ــ تعالى ــ(فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (البقرة ١٠).

٢ – مسألة الأخذ بالحقيقة والمجاز معاً مسألة مختلف فيها.. فالشافعي ــ رحمه الله ــ يرى أنَّ اللفظ إذا دار بين الحقيقة والمجاز جازَ أن يكون كلاهما مراداً ؛ واحتج في ذلك بأنَّ كل واحد من المعنيين جائز أن يكون مراداً باللفظ حالة الانفراد فجاز أن يكون مراداً به حالة الاجتماع كلفظ الجون واللون. وقال أبو حنيفة ــ رحمه الله ــ: لا يجوز إرادة الحقيقة والمجاز في حالة واحدة بل إذا صارت الحقيقة مرادة خرج المجاز عن كونه مراداً وإذا صار المجاز مراداً خرجت الحقيقة عن كونها مرادة؛ واحتج في ذلك بأن حدَّ الحقيقة استعمال اللفظ فيما وضع له، والمجاز على الضدِّ منه ويستحيل إرادة الشيء وضده بلفظ واحد في حالة واحدة. ومن المسائل التي تتفرع على هذا الخلاف ــ مثلاً – أنَّ لمس المرأة يوجب انتقاض الطهارة عند الشافعي، وعند أبي حنيفة لا يوجب لأنَّ اللمس مجاز عن الجماع في قوله ــ تعالى ــ(أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء)(النساء ٤٣ والمائدة ٦) والجماع مراد باتفاق حتى صار حدثاً فلا تبقى الحقيقة معه مرادة. [ينظر: تخريج الفروع على الأصول ص ٦٨ ــ ٦٩ لـ/: محمود ابن أحمد الزنجاني أبي المناقب ت ٦٥٦ هـ. ط / مؤسسة الرسالة – بيروت ــ الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص ٤٣].

٣ – الخصائص ٢ / ٤٩٠ – ٤٩٤ لـ/ ابن جني – ط – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٨هـ بتحقيق / محمد علي النجار.

وذكر الشيخ سيد قطب أنه قد يراد المعنيان بتعبير واحد [١].

" فلا يقصر تفسير التعبير القرآني على وجهٍ واحد إذا تحمل أكثر من وجه حسب قواعد اللغة التي نزل بها القرآن، فكلُّ معنى يفيده اللفظ أو التعبير من غير خروج على قواعد اللغة هو معنى مراد الله، وإنْ لم يك معلوماً للبشرية قبل. وإفادة الآية القرآنية إياه إرهاص بأن الله سيكشف للبشر عنه ليكون معجزة علمية جديدة للقرآن تثبت من جديد أنه من عند الله "[٢].

فمثلاً قوله ــ تعالى ــ:(يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ.)[٣].

فسَّرَ ابن عباس – رضي الله عنهما – الظلمات الثلاث بأنها ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة [٤].

والمشيمة: هي غشاء من جلد يخلق مع الجنين محيطاً به ليقيه وليكون به استقلاله ممَّا ينجر إليه من الأغذية في دورته الدموية الخاصة به دون أمه [٥].

ويرى بعضُ العلماء أنَّ الظلمات الثلاث هي الرحم والسَّلَى (كوريون) والرهل (أمنيون)[٦].

---

١ – في ظلال القرآن ٢٢ – ٢٩٣٥ لـ/ الأستاذ: سيد قطب، ط – دار الشروق – السابعة والعشرون ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨ م

٢ – الإسلام في عصر العلم ص ٢٩٤.

٣ – سورة الزمر آية رقم: ٦.

٤ – أخرجه الطبري في جامع البيان م١٠جزء٣٢ ص١٢٤ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧ ــ ٢١٢ لـ/ سعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ.

٥ – ينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٣٣٤ لابن عاشور. ط / تونس ١٩٨٤ م الدار التونسية للنشر.

٦ – رأى ذلك الدكتور عفيفي محمود – ينظر: المحاضرات العامة الموسم الثقافي الدورة الأولى ١٩٦٠ مطبعة الأزهر ص٢٠٦ – ٢٠٧ من بحثه بعنوان (علم الأجنة في القرآن) وهناك تقسيمٌ آخر لهذه =

والظلمات في هذين القولين – ظلمة واحدة في مكان واحد تحيط به طبقات متعددة.

ويذهب آخرون إلى أنَّ الظلمات الثلاث في الآية الكريمة تشمل المبيض الذي تنشأ فيه البويضة، وقناة " فالوب " التي تمضي فيه البويضة إلى الرحم فلا تصله إلا بعد بضعة أيام قد يقرر لها في أثنائها أن يخصبها الحيوان المنوي من الرجل، والرَّحم هو الظلمة الثالثة.

وعلى هذا القول تكون الظلمات الثلاث المذكورة في الآية الكريمة قد حصل وجودها متفرقات في أماكن مختلفة، وفي كلٍّ منها يحصل ما أشارت إليه الآية الكريمة (خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ) كما أنَّ الخطاب في الآية (يَخْلُقُكُمْ) للجميع فيفهم منها العامة معنى والأطباء معنى دون تعارض أو تباين بينها.. وفي نهاية الأمر فإنَّ المفسر يأخذ بها جميعاً وإنْ ترجح بعضها، فإنَّ الأخذ بها جميعاً مقام، والترجيح مقام آخر لا يعارضه [١].

الظلمات الثلاث ذكره الأستاذ الدكتور / زغلول النجار حيث قال:" يحاط الجنين في داخل الرحم بمجموعة من الأغشية هي من الداخل إلى الخارج كما يلي: " غشاء السلي " أو " الرهل – amnion "، و " الغشاء المشيمي – chorion "، و " الغشاء الساقط – decidua "، وهذه الأغشية الثلاثة تحيط بالجنين إحاطة كاملة فتجعله في ظلمة شاملة هي الظلمة الأولى، ويحيط بأغشية الجنين جدارُ الرحم، وهو جدار سميكٌ يتكون من ثلاث طبقات تحدث الظلمة الكاملة الثانية حول الجنين وأغشيته، والرحم المحتوي على الجنين وأغشيته في ظلمتين متتاليتين يقع في وسط الحوض، ويحاط إحاطة كاملة بالبدن المكون من كلٍّ من البطن والظهر، وكلاهما يحدث الظلمة الثالثة تصديقا لقول ربنا (تبارك وتعالى):(يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ)..".هـ[تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ٣ / ٢٠٨ – ٢٠٩].

١ – ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد ص ٧٩٦.

ثاني عشر: مراعاة السياق:

فالاستعانةُ بسابق الكلام ولاحقه مِمَّا يعين كثيراً على الوصول إلى المعنى. كما أنَّ مخالفة ذلك توقع في التأويلات الخاطئة وذلك كما فسَّر البعض قوله-تعالى-: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[١] بأنه يعني كلَّ شيء من إنسان وحيوان ونبات وجماد من (نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) أي: من ذرة هي في أيِّ كائن من الكائنات المذكورة (وَاحِدَة) أي: تشبه ما في غيره من الكائنات.

فهذا القول فيه مخالفةٌ صريحة للسياق، وزيادة على النص القرآني ذلك أنَّ الخطاب في الآية الكريمة – كما هو واضح وصريح – للناس فقط – من بني آدم المبثوثين.. [٢].

ثالث عشر: مساواة التفسير للمفسر:

وذلك على قدر الحاجة فلا يزاد فيه على النص إلا لفائدة كما لا يترك شيئاً في النص بدون تفسير – إلاَّ مع الإشارة إلى سبب ذلك كأن يكون العلم عاجزاً عن تفسيره.

فمثلاً قوله ــ تعالى ــ:(رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ)[٣]. ظاهره

---

١ – سورة النساء آية رقم: ١.

٢ – ينظر: اتجاه التفسير في العصر الحديث ص ٢٦٦ للشيخ مصطفى الطير. سلسلة مجمع البحوث الإسلامية أبريل ١٩٧٥، والقرآن والعلم الحديث ص ١٥٥ لـ / عبد الرزاق نوفل. ط / الشعب ١٩٨٢.

٣ – سورة ص آية رقم: ٣٣.

أنَّ سليمان – عليه السلام – مسح على سيقان الخيل وأعناقها [١]. ولكنْ لننظر إلى ما كتبه البعض تعليقاً على هذه الآية الكريمة في ضوء علم الطب البيطري دون الالتزام بهذا المبدأ حيث ذكرَ أنَّ المسح على رأس الحيوان وعنقه يكسبه طمأنينة، ويكون ذلك عند إرادة اختباره، ويمسح أيضاً على ظهره، فذكرَ الرأسَ والظهرَ في هذا الاختبار – وليسا في نص الآية الكريمة – ونقصَ السوق، وفي اختبار آخر وفي حالة مختلفة ولقياس النبض كتب بأنَّ المسح يكون على ما ذكر ــ ولم يورد مسح الأعناق ــ مع زيادة المسح على عروق الصدغ – بعد أن يجري الحيوان شوطاً مثلاً [٢] – وهذا – كما نرى – تفريق لمعاني الآية، وعدم مساواة..

رابع عشر: مراعاة ما قاله المفسرون وبخاصة ما أجمعوا عليه:

فلا يخالف صاحبُ المعنى الجديد إجماعاً، ولا يبطل معنىً ممكناً قاله مفسر، ولا يقتصر على المعنى الجديد بل يضمُّه إلى المعنى المجمع عليه..

فالمعاني الأولى التي تفوز بالنص هي ما عرفه العرب وحملةُ الشريعة.. فمثلاً قوله ــ تعالى ــ:(قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ)[٣]. قال الإمام البغوي:"(مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) الرجفة والخسف [٤] كما فعل بقوم شعيب وقارون، وعن ابن عباس ومجاهد: عذاباً من فوقكم: السلاطين الظلمة،

١ – ينظر: جامع البيان ٢٣ ــ ١٥٦، ومفاتيح الغيب ١٣ / ٣٢٦ ــ ٣٢٨، والبحر المحيط ٧ ــ ٣٨٠.

٢ – ينظر: من الآيات العلمية ص ٦٢ – ٦٤ لعبد الرزاق نوفل ط / الأولى / الأنجلو ١٩٦٦.

٣ – سورة الأنعام آية رقم: ٦٥.

٤ – هذا القول أخرجه الطبري في جامع البيان [٧ــ ١٤١] عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ وسعيد بن جبير ومجاهد وأبي مالك والسدي. وعزاه السيوطي في الدر المنثور [٣ ــ ٢٨٣] لــ/ عبد بن حميد وأبي الشيخ وابن جرير وابن المنذر.

ومن تحت أرجلكم: العبيد السوء "هـــ[١].

وهذا التفسير المروي عن ابن عباس، ومن وافقه من المفسرين لم يراعه الشيخ الغماري، بل ادَّعى بطلانه وفسَّر العذاب من فوق ومن تحت بالطائرات الرامية بالقنابل والألغام والغواصات، وقال:" ولمَّا لم يكن في زمن المفسرين شيء من ذلك فسَّروا العذاب من فوق بالملوك، ومن تحت الأرجل بالعبيد، ولا يخفى بطلانه ولكنهم معذورون، لأنهم لم يروا ما يصلح أن تطبق عليه الآية كما رأينا نحن والحمد لله "هـــ[٢].

وهذا الكلام من الشيخ الغماري – حول الآية الكريمة – من المبالغة بمكانٍ إذْ لا يخفى أنَّ النصَّ عام وأن مِن أفراده الرجفة والخسف والظلمة وأئمة السوء وعبيد السوء، وكذلك الطائرات والغواصات – كما يرى هو إذْ ليس في النص ما يعارضه – وما إلى ذلك.

ولا يخفى ما يكون من فوق، وما يكون من تحت كالغرق والريح والحاصب.. وإلى آخر ما قاله المفسرون وما سيكون..

ومثال ذلك أيضاً قوله ــ تعالى ــ:(وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۞ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ)[٣].

١ – معالم التنزيل ٣ – ١٥٣ لــ/ الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي – ط – دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـــ – ١٩٩٧ م. والأثر المذكور أخرجه الطبري في جامع البيان ٧ــ ١٤٢ وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣ ــ ٢٨٣) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

٢ – مطابقة الاختراعات لما أخبر به سيد البرية ــ ﷺ ــ ص ٢٤.

٣ – سورة يس آية رقم: ٤١ ــ ٤٢ .

جاء في تفسير البغوي أنَّ هذا المثل قيل: هو السفن الكبار، وقيل الصغار [١] التي عملت بعد سفينة نوح ــ على نبينا وعليه الصلاة والسلام وعلى جميع الأنبياء ــ، وروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال:" يعني الإبل، فالإبل في البر كالسفن في البحر"[٢].

هذا ما قاله السابقون في تلك الآية الكريمة لكنَّ البعض في العصر الحديث قصر معنى " المثل " في الآية الكريمة على الطائرات "[٣].

وذهب الشيخ الغماري إلى أنَّ هذا المثل هو بابور السكة الحديد، والسيارات التي تحمل الركاب ببضائعهم، وقال: إنَّ هذا هو المراد من الآية جزماً، وإنَّ حملها على الإبل، باطل مقطوع ببطلانه "هـ"[٤].

ويجاب على ذلك: بأنَّ المثل هنا لا يمنع من احتمال هذه المعاني كلها علماً بأنَّ قول من قال: إنها الإبل هو الراجح لما يلي:

أولاً: كيف تكون الطائرات وما إليها آية لهم وهم العرب والمسلمون الأولون، وهم المقصودون أولاً بحكم السبق الزمني بلفت النظر إلى الآيات، ولم تكن آية الطائرات وما إليها قد وجدت ؟!.

ثانياً: التعبير بالماضي (حَمَلْنَا) و(خَلَقْنَا) الذي انسحب على الماضي وينسحب

١ – هذا القول أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٢ ــ ٨ عن ابن عباس وأبي مالك والحسن وأبي صالح والضحاك وقتادة وابن زيد وأبي صالح. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧ ــ ٦ لـ/ عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن جرير.

٢ – معالم التنزيل ٧ ــ ١٩ وأثر ابن عباس المذكور أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٢ ــ ٨ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧ ــ ٦ لـ/ ابن جرير وابن أبي حاتم.

٣ – ينظر: الإسلام في عصر العلم ص ٤٤.

٤ – ينظر: مطابقة الاختراعات لما أخبر به سيد البرية ــ ﷺ ــ ص ١٢.

على المستقبل ولا يتمحض للمستقبل ويعزل عن الماضي من غير حُجَّة توجب ذلك.

ثالثاً: لم يؤت بفعل الخلق في جانب الفلك، لأنَّ الفعل (خلق) مختص بالإيجاد الإلهي دون صنع الناس، وجيء به في جانب يختص به دون صنع الناس ؛ وهو الإبل فلا صُنْعَ للناس فيها، فهي المرادة بقوله ــ تعالى ــ(وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ).

ثم بعد ذلك لا يمتنع – بضرب التوسع الذي ألفناه في التفسير ــ أن يلحق بها ما يمكن إلحاقه من سيارات ونحوها فلابد من مراعاة هذا المبدأ وغيره [١].

ومن ذلك أيضاً قوله ــ تعالى ــ: في أول سورة المرسلات (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا)[٢]. عرفاً: أي متتابعة، وهي الرياح عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة [٣].

هذا ما قاله السلف في تفسير الآية الكريمة، لكنَّ الغماري جاء ليقول:" إنَّها الطائرات الحربية بكل حركاتها وأفعالها في الآية وما بعدها ست آيات "[٤].

وهذا تأويل لا يتفق مع الآية الكريمة لا من قريب ولا من بعيد..

وكيف يجعل صنع الناس كصنع الله ــ تعالى ــ؟ والعجب كلُّ العجب أنَّ الشيخ الغماري ذكر هذا القول واقتصر عليه دون غيره !!.

١ – ينظر: التحرير والتنوير ٢٣– ٢٨ والتفسير والمفسرون في ثوبه الجديد ص٨٠٢– ٨٠٣.

٢ – سورة المرسلات آية رقم: ١ .

٣ – أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٩ ــ ١٤٠ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨ ــ ٣٨٢ لـ/عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وعبد الرزاق.

٤ – ينظر: مطابقة الاختراعات لما أخبر به سيد البرية ــ ﷺ ــ ص ٢٠ .

تلك هي الشروط اللازمة للتفسير العلمي..

وأهمها يدور حول عدم جرِّ الآية القرآنية إلى النظريات العلمية التي لا تقوم على أساس من الحق، ولا تستند إلى أصلٍ من الصحة..

ثم الحذر من ربط النصوص الشرعية بالنظريات العلمية المتأخرة لا الحقائق العلمية الثابتة حتى لا يؤدي إلى إنكار نصوص القرآن والسنة إذا نقضت هذه النظريات.

وكذلك عدم التمحل لحمل القرآن على معنى معين ليقال إنَّ القرآن قد سبق العلوم العصرية أو نحو ذلك، هذا التمحل مرفوض، وهو تكلُّف لا معنى له. والقرآن في غنىً عنه ؛ لأنَّه قد ثبت صدقه وإعجازه وإنما ينبغي أنْ يفسر بما تحمله العبارة، وما تحمله الجملة ويحتمله اللفظ، ولا يجوز أنْ تقطع الآية عن سياقها.. (١).

فإذا توافرت هذه الشروط فليس هناك ما يدعو إلى رفض هذا اللون من التفسير أو الهجوم عليه..

وبعد ذلك نقول: إنَّ منه ما هو أصيل ؛ لتوافر شروط قبوله، ومنه ما هو دخيل مردود على أصحابه لفقدانه شروط القبول.. وليس بعد الحق إلا الضلال.

وبعد:

فتلك دراسة حول التفسير العلمي للقرآن الكريم عرضت من خلالها لمعنى التفسير العلمي، ونشأته وآراء العلماء فيه.

وقد حاولت بقدر جهدي – تجليةَ هذا اللون من التفسير للقارئ الكريم والذي قد

١ – ينظر: مدخل إلى القرآن الكريم ص ١٧٨ ــ ١٧٩، والتفسير والمفسرون للدكتور الذهبي ٢ ــ ٥٥٨.

يرى أنَّ السلامة في اجتنابه، وقد يرى أن قبوله أو عدم قبوله مرهون بتوافر القواعد، والشروط اللازمة له.

ولكنْ ما لا يرضاه المنصف هو الاندفاع وراء هذا اللون من التفسير دون قيود أو شروط.. ومن ثمَّ تعرض كتاب الله – حاشاه ثمَّ حاشاه – للتأويلات الباطلة والتفسيرات الخاطئة..

ولم يبق لي في هذا البحث إلا أنْ أسطر بعض النتائج والتوصيات:

أولاً: للتفسير العلمي جذور تاريخية تمتد إلى عصر الصحابة الكرام.

ثانياً: اشتمال القرآن الكريم على الإشارات العلمية ووقوعها على حسب إخباره بها.. كان الدافع الأكبر لدى البعض في الاعتداد بهذا اللون من التفسير والاحتفاء به.

ثالثاً: رفض البعض لهذا اللون من التفسير إنَّما هو بدافع الغيرة على كتاب الله ــ تعالى ــ والخوف من إخراجه عن مقصده الهادي.

رابعاً: ليس من المقبول أن لا نستفيد بكل ما هو جديد يخدم كتاب الله – تعالى–، ويؤكد لضعاف الإيمان صحة مصدره الإلهي..

كلُّ ذلك في ضوء القواعد والأصول، فالحكمةُ ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أولى بها.

خامساً: على المشتغلين بعلوم القرآن فتح الطريق للدراسات العلمية، وتكون تحت إشرافهم.. بدلاً من ترك المجال لمَنْ ليس من أهل الاختصاص ليقول في كتابه ــ تعالى ــ ما لا يحمد عقباه..

سادساً: إيجادُ جسور مشتركة تتمثل في الندوات والأبحاث العلمية بين علماء

الشريعة، وبين علماء العلم التجريبي ذوي الاهتمام بكتاب الله ـ تعالى ـ. وذلك لاستفادة كلٍّ من الآخر.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

فرغ منه في: ٢٠ من ذي القعدة ١٤٣٠هـ الموافق ٨/ ١١/ ٢٠٠٩م.

أهم المراجع

أولاً: كتب التفسير وعلوم القرآن.

ـ الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ـ مكتبة دار التراث ٢٢ شارع الجمهورية – القاهرة.

ـ اتجاه التفسير في العصر الحديث للشيخ مصطفى الطير. سلسلة مجمع البحوث الإسلامية أبريل ١٩٧٥م.

ـ الأصيل والدخيل في تفسير القرآن وتأويله رواية ودراية د / عبد الغفور محمود مصطفى – ص ١٦٨ الطبعة / الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

ـ إعجاز القرآن لـ/ عبد الكريم الخطيب. ط / مطابع دار الكتاب العربي ـ مصر ـ ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م .

ـ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم د/ حسين نصار. دار الهلال. بدون.

ـ البحر المحيط لـ/ أبي حيان الأندلسي. ط / دار الكتب العلمية / بيروت – الأولى ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

ـ التحرير والتنوير لابن عاشور. ط / تونس ١٩٨٤ م الدار التونسية للنشر.

ـ التفسير " معالم حياته / منهجه اليوم لـ/ الأستاذ / أمين الخولي ـ ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ـ التفسير الحديث. لـ/ محمد عزة دروزة. ط / دار إحياء الكتب العربية ـ ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م.

ـ تفسير جزء عمّ لـ/ الشيخ محمد عبده ـ مطابع الشعب.

ـ تفسير القرآن الحكيم (المنار) ، للشيخ / رشيد رضا. ط ١ ـ مصر ـ مطبعة المنار ـ ١٣١٦ .

ـ تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ـ ﷺ ـ والصحابة والتابعين (تفسير

ابن أبي حاتم) الإمـــام الحافظ عبد الرحمن ابن محمد بن إدريس الرازي بن أبي حاتم الطائي ــ بيروت – الثانية – ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.

ــ التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد أ. د /عبد الغـــفور محمود مصطفي جعفر ط / دار السلام / الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

ــ التفسير والمفسرون لـــ/ الأستاذ الدكتور/ محمد حسين الذهبي. مكتبة وهبة - السادسة١٤١٦ هـ ــ ١٩٩٥ م.

ــ تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم د/ زغلول النجار - مكتبة الشروق الدولية ط أولى ١٤٢٨هـ ــ٢٠٠٧م.

ــ جامع البيان في تفسير القرآن / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – ط - دار الحديث ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

ــ الجامع لأحكام القرآن. للإمام / القرطبي. طبعة خاصة بترخيص من دار الشعب دار الريان للتراث.

ــ الجواهر في تفسير القرآن. للشيخ / طنطاوي جوهري ــ ط / الحلبي.

ــ الدخيل في تفسير القرآن الكريم د / حسين محمد إبراهيم محمد عمر " جامعة الأزهر " بدون تاريخ.

ــ دراسات حول القرآن الكريم د / إسماعيل أحمد الطحان. ط / مكتبة الأقصى – قطر – الدوحة ــ ط / الثالثة ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي – ط - دار الفكر - بيروت – ١٩٩٣ م.

ــ روح المعاني لـــ/ العلامة أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغـــدادي – ط - دار الـــفكر – بيـــروت ١٤١٧ هـ ــ ١٩٩٧ م.

ــ زاد المسير في علم التفسير . لـــ/ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. ط / المكتب الإسلامي – بيروت ــ الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ.

ــ فكرة إعجاز القرآن لـــ/ نعيم الحمصي. ط / مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٩٨٠م.

ــ في ظلال القرآن لـــ/ الأستاذ: سيد قطب، ط – دار الشروق – السابعة والعشرون ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨ م.

ــ القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين. للشيخ محمد الصادق عرجون ــ الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٦٦م.

ــ معالم التنزيل لـــ/ الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي – ط – دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

ــ مجمع البيان في تفسير القرآن . الشيخ/ أبو الفضل بن الحسن الطبرسي. منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت.

ــ المحرر الوجيز، لـــ / ابن عطية، تحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد – ط – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

ــ مفاتيح الغيب (أو التفسير الكبير)، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي – طـــ – دار الغد – الأولى ١٤١٢ هـ ــ ١٩٩٢ م.

ــ المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم " دراسة مقارنة " د / محمد حسين على الصغير ــ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – الطبعة / الأولى١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣ م.

ــ معترك الأقران في إعجاز القرآن. للإمام السيوطي. ط / دار الفكر العربي.

ــ منة المنان في علوم القرآن لـــ/ الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبد الرحمن خليفة – ط / مطبعة الفجر الجديد – منشية ناصر – ١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٢ م.

ــ مناهل العرفان لـــ/ الشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني. دار الفكر / بيروت ــ ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م.

ــ مدخل إلى القرآن الكريم لـــ أنور الجندي ــ ط / دار الاعتصام بدون.

ـ مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري. د / أحمد جمال العمري، ط / دار المعارف ـ القاهرة.
ـ مباحث في علوم القرآن. لـ مناع القطان. ط / مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
ـ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير د / فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي. ط ٢ ـ مؤسسة الرسالة ١٩٨٣م.
ـ النكت والعيون (تفسير الماوردي). ط / دار الكتب العلمية ـ بيروت.
ـ هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة " تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة " رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة. ط ١٤٠٨هـ.

ثانياً: كتب الحديث الشريف وعلومه:

ـ الجامع لشعب الإيمان، الإمام البيهقي ـ ط ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت / الأولى ١٤١٠ هـ.
ـ صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي. ط ـ بيروت الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م بتحقيق / شعيب الأرنؤوط.
ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لـ/ علي بن أبي بكر الهيثمي ـ ط ـ دار الكتاب العربي. بيروت ١٤٠٧ هـ.
ـ المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. ط ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ الأولى ١٤٠٩هـ.
ـ المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ط ـ مكتبة العلوم والحكم ـ الموصل ـ الثانية ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م.

ثالثاً: كتب اللغة، والأصول، والتراجم، والثقافة.

ـ إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ـ مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة.
ـ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. لـ/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني ـ ط ـ دار الكتب العلمية / بيروت ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

ـ الإسلام في عصر العلم د / محمد أحمد الغمراوي ـ ط دار الكتب الحديثة.
ـ الإسلام دعوة عالمية لـ عباس العقاد ط / المكتبة العصرية ـ لبنان بدون تاريخ.
ـ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز. تأليف / بديع الزمان سعيد النورسي ـ الناشر: شركة سوزلر للنشر ـ القاهرة ـ مصر بدون تاريخ.
ـ الإعجاز الكوني في القرآن الكريم للدكتور / السيد الجميلي. ط / أولى ١٩٨٨م دار زاهد القدسي.
ـ الإعجاز الطبي في القرآن د / السيد الجميلي. ط / دار التراث العربي ـ بدون تاريخ.
ـ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص ٣٢ د / عبد الله بن عبد العزيز المصلح، د / عبد الجواد الصاوي. رابطة العالم الإسلامي ـ الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
ـ أعلام النبوة للإمام الماوردي ـ ط / دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي.
ـ الإمتاع والمؤانسة لـ أبي حيان التوحيدي. بيروت ـ تحقيق / أحمد أمين، أحمد الزين.
ـ تاج العروس من جواهر القاموس لـ/ الإمام اللغوي السيد / محمد مرتضى الزبيدي ـ نشر دار الفكر ـ ط ـ المطبعة الخيرية ـ ١٣٠٦ هـ.
ـ تخريج الفروع على الأصول لـ/: محمود ابن أحمد الزنجاني أبي المناقب ت ٦٥٦ هـ. ط / مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.
ـ جواهر القرآن لأبي حامد الغزالي ـ مطبعة كردستان العلمية ـ القاهرة ١٣٢٦هـ.
ـ الخصائص لـ/ ابن جني ـ ط ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٨هـ

بتحقيق / محمد علي النجار.
ـ دائرة معارف القرن العشرين لـ / محمد فريد وجدي – بيروت الثانية ١٩٧١.
ـ الرأي الآخر: التفسير العلمي للقرآن – محمد يوسف السباعي. ط / دار الصفا للطباعة والنشر – الجيزة.
ـ الفلسفة الإسلامية من المشرق إلى المغرب د/ عبد المعطى محمد بيومي ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م بدون ذكر اسم المطبعة.
ـ الفلسفة القرآنية. لـ/ عباس محمود العقاد. ط ـ دار الهلال .
ـ القرآن والمسلمون (مجلة الرسالة) العدد ٤٠٧، ٤٠٨ من السنة التاسعة ـ بتاريخ ٢١، ٢٨ أبريل ١٩٤١ م.
ـ القرآن محاولة لفهم عصري. لـ/ الدكتور / مصطفى محمود. ط / دار المعارف ـ الطبعة الثانية.
ـ القرآن والعلم الحديث لـ / عبد الرزاق نوفل. ط / الشعب ١٩٨٢.
ـ كتاب الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي. ط / مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
ـ لسان العرب لابن منظور – ط – دار صادر – بيروت – الثالثة ١٤١٤هـ القاهرة.
ـ مقاييس اللغة. لـ/ أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا. الناشر: اتحاد الكتاب العرب. ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م.
ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم لـ/ الراغب الأصفهاني. دار الفكر ـ بيروت ـ بدون.
ـ الموافقات في أصول الفقه، لـ/ أبي إسحاق الشاطبي – المكتبة التوفيقية – القاهرة ـ شرح تعليقات / فضيلة الشيخ / عبد الله درّاز.
ـ معجم المؤلفين لـ / عمر رضا كحالة – مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م.

ـ المنهج القرآني للدراسات الكونية في القرآن د / عبد العليم عبد الرحمن خضر– ط /دار السعودية / الثالثة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
ـ مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية ـ ﷺ ـ لـ/ الشيخ أحمد الصديق الغماري ط / مكتبة القاهرة – الطبعة التاسعة ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م.
ـ المفهوم الحديث للمكان والزمان تأليف: ب. س. ديفيز. ترجمة د / السيد عطا. ط / الهيئة العامة للكتاب.
ـ من الآيات العلمية لـ/ عبد الرزاق نوفل ط / الأولى / الأنجلو ١٩٦٦.
ـ من آيات الإعجاز العلمي " النبات في القرآن الكريم د/ زغلول النجار ـ مكتبة الشروق الدولية ـ الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م.
ـ من الإعجاز العلمي للقرآن والسنة " دراسة علمية تحليلية تربوية " د / علي عبد الرحمن آل باعلوى الحداد. ط / أولى ٢٠٠٥م.
ـ نظرات في القرآن للشيخ محمد الغزالي، ط / دار الكتب الحديثة بدون تاريخ .
ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لـ/ ابن خلكان. ط ـ دار صادر– بيروت ـ الطبعة: الأولى١٩٧١م.

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ٩٥
المطلب الأول: التعريف بالتفسير العلمي للقرآن الكريم: ٩٦
المطلب الثاني: نشأة التفسير العلمي: ١٠٤
المطلب الثالث: التفسير العلمي للقرآن الكريم بين القبول والرفض: ١٢١
أولاً: بيان موقف الرافضين للتفسير العلمي: ١٢٢
ثانياً: بيان موقف المجيزين للتفسير العلمي دون تقيد بقيد ١٣٦
ثالثاً: موقف المجيزين لهذا اللون من التفسير ١٤٢
ثالثاً: استحالة التناقض بين حقائق العلم ١٤٤
رابعاً: أن يكون الاتصال وثيقاً بين الحقيقة العليمة والنص: ١٤٦
خامساً: أن لا يخرج التفسير عن الأصول الإسلامية: ١٤٦
سادساً: الجمع الجيد للنصوص المرتبطة بموضوع واحد ١٤٧
ثامناً: مراعاة الاستعمالات والمعاني العربية: ١٥٠
تاسعاً: مراعاة القواعد النحوية ودلالاتها: ١٥٢
عاشراً: مراعاة القواعد البلاغية ودلالتها: ١٥٣
حادي عشر: القول بكل المعاني التي يحتملها النص: ١٥٤
ثاني عشر: مراعاة السياق: ١٥٧
ثالث عشر: مساواة التفسير للمفسر: ١٥٧
رابع عشر: مراعاة ما قاله المفسرون وبخاصة ما أجمعوا عليه: ١٥٨
أهم المراجع ١٦٥
الفهرس ١٧٢

* * *